ALBAAS-EL-ISLAMI
Regd No LW/NP59
Nadwat -ul- Ulama, LUCKNOW (India)

خاتم النبيين ﷺ

اسماحة الشيخ أبي الحسن على الحسنى الندوى

أحدث كتاب فى السيرة النبوية ، و أروع ما صدر أخيراً - لا آخراً - من لم يؤلف فى أسلوب سهل ، عذب ، رصين ، أسلوب العارف بمصادر السيرة الأصيلة ، البصير بطريقة عرض السيرة النقية الطاهرة — من خلال أحداثها و وقائعها — عرضاً سليماً كريماً تستجيب لها الفطرة البشرية ، و يستسيغها الطبع السليم ، و يؤمن بها كل من يريد وجه الحق و الصواب .

وقد عنى المؤلف فى الكتاب بالجانب التاريخى والعلمى والجغرافى ، وبالأوضاع الدينية و الاجتماعية و الاقتصادية فى العالم الذى عاصر البعثة عناية كاملة كما صور الأوضاع فى جزيرة العرب وفى مكة والمدينة على وجه الخصوص تصويراً دقيقاً جامعاً حتى برزت الصور ، حية شاخصة متكاملة الأطراف ومتآلفة الأجزاء والجوانب .

و الكتاب إلى جانب عرضه لوقائع السيرة و سائر أحداثها كحلقة مترابطة تأخذ بعضها بحجز بعض ، كأحلى قصة رويت على مسامع البشرية فى عمرها الطويل يجمع ما تفرق فى أهم مصادر السيرة الأولى من فوائد و نكات هامة ، فجاء كباقة زهر تجمع بين مختلف الزهور و الورود .

إن كتاب « خاتم النبيين » هدية العلم الصحيح ، و الفطرة السليمة و الدعوة الحكيمة إلى الشباب العصرى الحائر ، وإلى الباحثين عن الحق والحقيقة ، المتعطشين إلى نور الهداية و التوفيق فى القرن العشرين .

الناشر : دار الشروق جده (المملكة العربية السعودية)

يطلب الكتاب : من المكتبات الشهيرة فى العالم الاسلامى

Printed by S M. HASANI at Nadwa Press, LUCKNOW

بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي

شعارنا التوحيد

إلى الإسلام من جديد

مجلة الطلائع المؤمنة و رواد البعث الإسلامي

تصدر في دار العلوم ندوة العلماء - لكهنؤ - الهند

رئاسة التحرير

محمد الحسيني سعيد الأعظمي

العدد الثانى

المجلد الثانى والعشرون

★ شوال ١٣٩٧ هـ ★ سبتمبر و أكتوبر ١٩٧٧م ★

«ندوة العلماء»

[تيقنت لما رأيت مناهج الدرس وكتب الطلاب بندوة العلماء أن القوم ماشون على الجادة ، فليس عندهم تفرنج (الجامعات العصرية) و ليس عندهم جمود (المعاهد القديمة) و لكنهم يأخذون بالنافع من ثقافة الغرب مع الحفاظ على ثقافة الاسلام ، كالدار القائمة على السفح ، تترفع عن وخامة السهل ، وتنزل عن وعورة الجبل ، وخير الأمور الوسط]

على الطنطاوى

محتويات العدد

هنيئاً : الرجعة إلى الماضى و العودة إلى النور — سعيد الأعظمى — ٣

★ **التوجيه الاسلامى**
آخر ذنم الله على بنى إسرائيل — فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدومرى — ١٠
تأملات فى سورة البقرة — الباحث القرآنى الشيخ عبد العزيز العلى المطوع — ١٦

★ **الدعوة الاسلامية**
طبيعة الانسان طبيعة التوحيد والحب والايمان — فضيلة الأستاذ أمين أحسن الاصلاحى — ٢٥
القلق : وكيف عالجه الاسلام — الامام لواء الإسلام العبادى — ٣٢

★ **اقتصادنا فى ضوء الاسلام**
الربا و مناطق نفوذه فى الحياة و المجتمع — بقلم: الأستاذ عبد الرحمن الكيلانى (باكستان) — ٣٧
حقيقة الضربة و حقيقة الزكاة — فضيلة الدكتور يوسف القرضاوى — ٤٣

★ **فى رياض الشعر و الأدب**
دعوة الحق (شعر) — الشاعر المؤمن عمر بهاء الدين الأميرى — ٥٣
خسرو : و مكانته فى اللغة العربية — الأستاذ أبو محفوظ الكريم معصومى — ٥٨

★ **دراسات و أبحاث**
حركة التعليم الاسلامى فى الهند و تطور المنهج — الأستاذ واضح رشيد الندوى — ٦٧
آثار ابن عبد البر القرطبى — الدكتور محمد ظهور الحق — ٧٤

★ **ربانيون**
حياة الشيخ خليل أحمد السهارنبورى — فضيلة الأستاذ محمد الثانى الندوى — ٧٨

★ **العالم الاسلامى**
كيف ننظر إلى الحياة الغربية الأمريكية وكيف نتعامل معها — فضيلة الأستاذ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى — ٨٦
صور و أوضاع — محمد الحسنى — ٩٢
أخبار اجتماعية وثقافية: ١- الشيخ محمد سليم فى ذمة الله ٢- دار العلوم ديوبند تعلن عن موعد احتفالها ٣- سماحة الشيخ الندوى يعود فى سلامة الله — ٩٨

٢٥٣١
٢٦٥٥٣

هنيئاً : الرجعة إلى الماضى و العودة إلى النور

كانت تجربة الحضارة الغربية التى بدأتها الأقطار الشرقية فى القرن التاسع عشر بوجه عام يوم كانت هذه الحضارة توافدت إليها شابة فتية ، و استهدفتها بأفكارها و نظرتها الخاصة نحو الكون و الحياة و الانسان ، كانت هذه التجربة مريرة إذا تكلمنا بصراحة ، لأنها لم تزد فى أخلاقياتها و معنوياتها و حرياتها زيادة طيبة كما زادت فى متاعبها من كل نوع ، وسلبت ثقتها بنفسها ، و حرمتها من شخصيتها وتفردها بخصائصها الشرقية ، و إن زعماء هذه الحضارة و قادتها هم الذين استعبدوا الأمم و الشعوب ، و استعمروا البلدان و الأوطان ، و فرضوا سيادتهم السياسية على الشرق كله و سجروا العالم فى نار الحروب العالمية ، تظاهراً بقوتهم و وسائلهم وتهديداً للأمم المستعبدة و البلدان المستعمرة ، و ما قصة الحربين العالميتين الأولى و الثانية بخافية .

فلما كتب لقادة الغرب أن ينزاحوا عن الشرق ، و ينسحبوا عن الأراضى المغتصبة المسلوبة لكى تعود إلى أهلها ، و يعود إليهم حق التملك و الحكم ، كتب للحضارة الغربية أيضاً أن تنسحب عن ميدان القيادة ، و يحل محلها تفكير سليم عن الحضارة الأصيلة التى هى حضارة الانسان الطبيعية ، و التى تقر الانسان بحقه الطبيعى و تمنحه الحرية فى تقرير المصير و تكييف الحياة و وزنها بميزان الفطرة مع الدقة التامة بالتمييز بين حقوق الله و حقوق العباد ، و بين الواجبات و المسؤليات التى تعود إليه من نفسه و من مجتمعه و من ربه .

★ ★

★ البعث الاسلامى

و منذ أن بدأت عودة الشرق من الفكر الغربى و بات يشعر الرجل الشرق بفشل الحضارة الغربية و إخفاقها فى توجيه الأمن و الهدوء و العدل الاجتماعى إلى المجتمعات الانسانية ، وفى تقديم حلول للمشكلات التى يعيشها العالم المعاصر ، وظهرت له نوايا الغرب و مطامعه فى الشرق ، منذ ذلك الوقت عاد الناس يفكرون من جديد فى الحضارة التى يقدمها الاسلام و ما تنطوى عليه من أحكام و تعاليم ، و من نظرات سديدة نحو القضايا الانسانية و المشكلات الحيوية ، و ما لها من آراء صريحة فى جميع شئون الحياة أفراد و جماعات ، و حكاماً و شعوباً .

هذه الظاهرة الخطيرة نتيجة لمعاناه الناس فى كل مكان من المتاعب والمشكلات التى جاءت بها الحضارة الغربية مما قد أثار فيهم مقتاً و كراهية نحو النظم والأساليب التى كانت تحكمهم ، و دفعهم إلى محاربة هذه الأفكار و تلك الفلسفات ، و رفضها بشئ كثير من الاحتقار و الازدراء ، لأنهم حينما تمسكوا بها فكانوا ينتظرون منها السعادة التى وعدتهم بها ، والرفاهية التى أكدتها لهم ، و الأمن الذى ترقبوه منها ، و لكن هيهات ما انتظروه ، و خاب رجاؤهم و انقطع أملهم ، و ما حصل لهم منها إلا ما لا قيمة له إزاء الأمن و الرفاهية و السعادة .

و قد تعدت هذه الظاهرة اليوم من الشعب المسلم إلى الحكومات المسلمة فقد أقبلت عدة دول فى بلاد المسلمين - عدا السعودية التى تمثل حكومة إسلامية فى أكثر الأحوال - إلى تغيير قوانين العقوبات الموجودة فيها و إدخال تحسينات عديدة فى قوانين الدولة ، وذلك بتنفيذ بعض الحدود والعقوبات الاسلامية وإجرائها على المجرمين والجناة ، كقطع يد السارق و قتل القاتل ، وقذف شارب الخمر ورجم الزانى ، و ما إلى ذلك ، كما حدث ذلك أخيراً فى باكستان ، و قرره مجلس العلماء فى الأزهر الشريف و طالب من الحكومة أن تقبل تنفيذ الحدود و العقوبات فى

قضايا الجنايات والجرائم ، و كما أفادت الأنباء عن الخليج العربى و دول الامارات التى أعلنت التغيير فى العقوبات الجنائية و نفذتها ، و كذلك بعض دول المسلمين الأخرى التى اتجهت نحو التغيير ، و أعلنت عن ذلك .

و قد عم هذا الاتجاه فى معظم بلدان المسلمين و تحقق لدى الأكثر أن تجربة الحضارة الغربية إلى هذه المدة الطويلة لم تتمخض إلا عن خيبة فى الآمال التى كانت تتعلق بها ، و عن متاعب و مشكلات كثيرة و كثيرة يقاسيها العالم اليوم ألواناً و أشكالا ، فليس فى هذه الحضارة ما يحتاج إليه الانسان ويطلبه من أمن عام وعدل شامل وحب خالص وسلام و إيثار ، الأمر الذى هو ضالة الانسان الحى ، وحاجته فى كل حين .

و الحقيقة أن الانسان رغم جميع ما أحرزه من نجاح و تقدم فى الظواهر الكونية ، و ما تمتع به من مكانة عالية فى عالم التحقيق والعلم و التكنولوجيا ، ورغم تفجيره الطاقات الذرية و إبداعاته فى عالم الصناعة و الاكتشافات العلمية لفى أشد حاجة إلى الايمان بالله و الالتجاء إلى كنفه و الاستعانة بذاته ، و الاعتماد على قانونه و التمسك بشريعته ، و كلما كان أشد إيماناً بالله و أكثر عملا بأحكامه و خضوعاً لقوانينه كلما كان أكثر انتفاعاً لنفسه و أكثر نفعاً لأمته بعلمه و صناعته و بتحقيقه و اكتشافاته ، و كلما رأى آيات الله تعالى فى نفسه و فى خلقه و آفاقه و شاهد عجائب قدرته وتكوينه فى الكون والانسان كلما زاد يقيناً بربوبيته ووحدانيته واعتقاداً بصفاته الفذة من الخلق و الأمر و العلم و القوة (سنريهم آياتنا فى الآفاق و فى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) .

إن الوضع السيئ الذى يعيشه الناس حكومات و شعوباً من قلق واضطراب و فوضى و فساد على أوسع نطاق ، و إن القضايا و المشكلات المتجددة التى تواجهها الدول و الحكومات فى جميع المجالات السياسية و الاقتصادية والاجتماعية والفكرية

★ البعث الاسلامى

كل ذلك يتعلق بما قد أصيب به الانسان من الاعجاب بالنفس و التفرد بالذات ، و الاعتماد الكامل على عقله و فكره مع الاستغناء التام عن البحث و التفكير فى القوة المطلقة التى تحكم الكون و تتولى الخلق و الأمر و لا يقوم الانسان أكثر من ذره حقيرة أمام كبريائها و عظمتها ، و جبروتها و طاقتها ، ألا و هو قوة الله تبارك و تعالى ، وذاته العلية التى لها ملك السماوات والأرض و ما بينهما وإليها المصير .

إن رجعة الانسان إلى شريعة الله و يأسه من الشرائع الوضعية و الحضارات الصناعية المادية تبعث الأمل فى أن المستقبل للاسلام إذا قدر الله ذلك ، وأن العالم كله سيلجأ أخيراً إلى شريعة الاسلام و يجد فيها بغتيه ، و سيبدأ هذا العمل من العالم الاسلامى و دوله و يشمل العالم كله فى نهاية المطاف باذن الله تعالى ، ولا بد من أن تعترف كل النظم و الفلسفات و النظريات التى تسود العالم اليوم بفضل الاسلام و عبقرية رسالته التى جاء بها رسولنا العظيم محمد ﷺ من عند ربه .

و إنى أعتقد أن عمل التراجع من تجربة الحضارة المادية إلى حضارة الروح و الهدوء و الأمن و الاستقرار قد أصبح موضع تفكير كل انسان و إن اختلفت مظاهره وأشكاله ، سواء فى صورة السآمة كما فى حركة الخنفسة ، أو فى شكل الثورة كما فى الحركات التبشيرية وفى الدعوات إلى الرياضات و المجاهدات التى اخترعها المنحرفون الباحثون عن الهدوء ، و على كل فان الحضارات المادية قد هرمت وعجزت عن أداء رسالاتها و تبليغ دعواتها ، كما عجزت عن توفير الأمن و الطمأنينة وغرس الفضائل فى النفوس و تحقيق السعادة و الهدوء فى حياة الأفراد و الجماعات .

و فى مثل هذه الظروف فان الاسلام هو الملجأ الأول و الأخير الدائم للباحثين والباحثات عن غذاء للروح والقلب ، وعلاج للأدواء والأسقام التى أصيبت بها الانسانية ، ففى الاسلام كفاية و غنى عن كل نظام و قانون ، و كل شريعة و فلسفة ، و كل معسكر و قوة ، فيه نظام السياسة و الحكم ، و نظام الاقتصاد

و الاجتماع ، و نظام التعليم و التربية ، و نظام الحرب والسلم ، و نظام العقوبات و الجنايات ، و نظام الفرد و الجماعة بجميع تفاصيله ، و فيه كل نظام تحتاج إليه الحياة الانسانية فى أى فترة من فتراتها ، و فى أى حال من أحوالها ، و قد حكم الاسلام العالم فى فجر التاريخ الاسلامى وأملى حكمه على المجتمع الانسانى فى ضوء الكتاب و السنة و سيرة الرسول ﷺ ، فساد الأمن و السلام و العدل و الاستقرار ، وجنى المجتمع الانسانى منه ثماراً يانعة سجلها التاريخ وخلدها المسلمون .

لقد قامت المملكة السعودية فى العالم المعاصر بالعمل بالشريعة الاسلامية فى كثير من الشئون و خاصة فى الجنايات فرأى العالم بأم عينيه أن نسبة الجرائم نقصت فيها إلى حد يبعث على الاستغراب ، خذ مثلا تنفيذ حد السرقة بقطع يد السارق فقد كان له أثر ملموس فى قضايا السرقة حتى إن جرائم السرقة لا تعدو العد على الأصابع خلال مدة سنوات ، و كذلك يتجلى فضل الشريعة الاسلامية فى جوانب أخرى من الحياة أيضاً ، و ما أن يخف العمل بتنفيذ العقوبات والحدود إلا وتتكاثر الجرائم و الأحداث ، و تتعكر صفو الأمن و يحل محله المخاوف و الأخطار .

و كل دولة تجعل الشريعه الاسلامية أساسها فى جميع الشئون و تنفذ قوانينها فى كل الجوانب و النواحى فانها سترى كيف يتغير الوضع فى بلدها و مجتمعاتها من سيئ إلى حسن ، و من فاسد إلى صالح ، و كيف يتغير الناس فى جميع ما ألفوه من عادات و أخلاق و ينقلبون إلى شعب مسلم حقيق ، يعمل فيه الايمان و يتحكم فيه الورع و يسود عليه العفاف والنزاهة ، فاذا بكل شئ يتغير ، ويقوم جو الحب و الايمان و الأخوة و التقوى ، فلا رذيلة و لا جريمة و لا جدال و لا خصام ، و لا خوف و لا خطر ، و لا إفراط و لا تفريط ، بل كل شئ يسير حسب ناموسه ، و كل عمل يتم فى مقياسه و حدوده .

كل ذلك يتحقق بشرط أن نخلص النية قبل كل شئ لله ونزكى النفس من جميع الشوائب والأغراض التافهة ولا نبتغى بذلك إلا مرضاته ولا نطلب إلا سيادة قانون الله

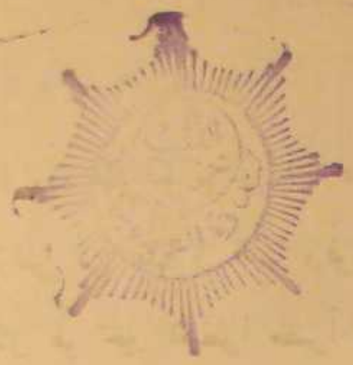

التوجيه الإسلامي

هنيئاً : الرجعة إلى الماضى و العودة إلى النور ★

★ البعث الاسلامى

و تحكيم شريعته و إعلاء كلمته ، حتى تخضع جميع الأهواء و الأغراض لحكم الله و تتلاشى جميع الامتيازات و الحقوق الوضعية بجنب رضا الله ، فالحاكم يعتبر نفسه خادماً لدين الله و عباده ومسئولا عن تطبيق أحكام الله على العباد والبلاد ، فاذا أكرم أحداً فلتحقيق طاعة الله ، وإذا أهان أحداً فلارضاء الله ، و إذا أحب أحداً فلانه يحب الله و رسوله ، وإذا أبغض أحداً فلانه يستحق ذلك بأمر الله و رسوله ، و إذا أجاز أحداً فلانه من أهل الجوائز ، و إذا عاقب أحداً فلتنفيذ حدود الله و أحكامه ، و هكذا لا ينفك فى أى لحظة عن دافع الطاعة و تصور العبادة ، و يعتقد كامل الاعتقاد أنه فى كل ذلك ملزم لأمر الله تعالى الذى وجه إلى الحكام فقال تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، فأولئك هم الظالمون ، فأولئك هم الفاسقون » ثلاث مرات بثلاثة أوصاف تهددهم بالفسق والظلم والكفر .

و من هنا فاننى متفائل باليقظة التى ظهرت تباشيرها اليوم فى حكام الدول فى الأقطار الاسلامية ، و اليأس الذى داخلهم من الحضارات المادية والصناعية ، وذلك بعد ما مروا بتجربتها مدة طويلة و واجهوا نتائج سيئة للجهود التى بذلوها فى خدمتها و خدمة سادتها ، فليس إقبالهم على التمسك بشريعة الله كأساس أول للحكم والسياسة عن تهور منهم أو شيئاً ارتجالياً لم يتقنوه و لم يعجموا عوده ، لا ، بل إن عزمهم على تحكيم شريعة الله فى الحياة و المجتمع ، أو تفكيرهم فى الاقدام على ذلك أمر أحكموه بالتجارب و أرادوه عن اقتناع وفقه و بصيرة ، فهنيئاً لهم هذه الرجعة إلى الماضى ، و طوبى لحكام الأقطار الاسلامية وشعوبها هذه الظاهرة الاسلامية الطيبة .

« وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه و لاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله »

و صدق الله العظيم .

سيد ابو علي الندوي

★ ★

آخر نعم الله على بني إسرائيل

فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى

(٦١) وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها و قثائها وفومها و عدسها و بصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصراً فان لكم ما سألتم و ضربت عليهم الذلة و المسكنة و باؤوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله و يقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون) .

فهذه الآية تصور لنا جرماً آخر من إجراماتهم تدل على كفرانهم بنعم الله فانهم دأبوا على عنات موسى بكل وسيلة بطلب ما يستطاع و ما لا يستطاع و إنهم قد تسفلوا بأنفسهم إلى أحط المستويات ، إلى مستوى لا يليق بأمة رعاها الله بعنايته العظيمة ، و لكن كما قال الشاعر : و تأبى الطباع على الناقل .

و لعل طلبهم هذا لقصد إحناق موسى و تأييسه حتى يرجع بهم إلى مصر التى ألفوها و لم يبتئسوا بما حصل لهم فيها من الذلة و الارهاب ، و إن العليم الخبير سبحانه وتعالى قال : «اهبطوا مصراً » لأن مجرد سؤالهم لا يوجب اعتبار عصيانهم الشديد المفضى إلى ضرب الذلة و الغضب

و لكن هناك ملابسات أخرى أبهمها القرآن و لا شك أن تحكمهم المتكرر على موسى مخالف لما يحبه الله ومعاكس لمقابلة نعم الله المتوالية بالشكر العملى الصحيح خصوصاً ، و قد وعدوا بالتمكين من دخول الأرض المقدسة و أن يرفع عنهم الخسف الذى وقعوا به بسبب عصيانهم فى التيه وعدم تأثرهم بما شاهدوه من الآيات

الواضحة الباهرة و النعم العظيمة التى لا مثيل لها فى جميع أدوار التاريخ فهذا التلون منهم مع موسى دليل على أنهم يريدون إفهامه بأن لابقاء لهم معه على هذه الحال ، وأى أحد أحسن من حالهم - قبحهم الله - و هم يأكلون المن و السلوى ، العسل والطيور ويشربون من اثنتى عشرة عيناً بدون كلفة ولازحام من صخرة سخرها الله ؟

و لذا قال لهم موسى : (أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير) و أصل معنى الأدنى فى اللغة - الأقرب - ثم استعمل للأخس الدون فجعل طلبهم للبقول و القثاء و البصل و الثوم بدلا من المن و السلوى استبدالا للطيب الأعلى لذة و عاقبة بالأخس الأدنى لذة و عاقبة ، وقولهم : « لن نصبر على طعام واحد » توكيد منهم لنفى صبرهم فى المستقبل و (البقل) هو النبات الرطب مما يأكله الناس و الأنعام من سائر البقول كالخس و الرجلة و الهندباء و غيرها و (القثاء) يشمل جميع المباطخ من طروح و خيار و سائر أنواع البطيخ ، و يختص باسمه الطروح الملتوية (و الفوم) هو الثوم ، كما فى قراءة ابن عباس و ابن مسعود وتفسيره به أولى ممن فسره بالحنطة لأن الحنطة من أطايب الطعام لا من أدناه .

فهذه الآية الكريمة وتذكر بنى إسرائيل ببطر أسلافهم وإعناتهم لنبيهم وتفضيلهم الأدنى على الأعلى أشراً وبطراً وسوء مقابلة للنعم العظيمة و قولهم « ادع لنا ربك » و لم يقولوا « ادع لنا ربنا » و هذا يعتبر من سوء الأدب و التعاظم على موسى كأنه رب له من دونهم أو كأنه محسن إليه لا محسن إليهم .

فخطيئتهم هذه مركبه من عدة أمور سخط عليهم بها الله الذى يعلم خبايا نفوسهم ، و لو أن طعامهم غير هذا الطعام و منطقهم غير هذا المنطق لكان لهم عذر و شأن غير هذا الشأن ، و لكن طعامهم من أشهى الأطعمة و ألذها و أحلاها و أحسنها عاقبة (المن) الذى مذاقه محبوب للطباع و (السلوى) التى هى من أحسن الطيور و فيها غذاء كامل و لذة خارقة لا يحصل عشر معشارها فيما طلبوه من

البقول و القثاء ، و كذلك منطقهم مع موسى ، ذلك المنطق القاسى المتعالى و الذى لا يشعر بأدنى وقار لله بل فى نطقهم ما يشابه منطق آل فرعون إذ قالوا « ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك » بل آل فرعون يسوع تعبيرهم بهذا حيث لم يؤمنوا بالله رب موسى بخلاف منطق بنى إسرائيل .

و لهذا كان جوابهم من موسى جواب الاستنكار مقروناً باجابتهم إلى طلبهم الخسيس قائلا : « أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟ اهبطوا مصراً فان لكم ما سألتم » و الهبوط فى اللغة الانحدار و النزول و يستعمل أيضاً فى الانتقال من بقعة إلى بقعة ، و لكن التعبير فى هذه الآية إشارة إلى اقتران الهبوط الحسى و المعنوى لأنهم لا يصالحون الأوضاع و الأمور الكبار التى هيأهم الله لها لأنهم ألفوا الذلة فانطبعوا بها وأصبحوا لا يصلحون لمهمات الأمور ، ولذا تجد حالتهم مع موسى طيلة حياته على أسوأ حالة من الاعنات و عدم الثقة بما يعدهم حتى ألجئوه إلى الرجوع لمصر حتى إذا كان وقت (يوشع بن نون) بعد موت موسى ونشوء جيل جديد غير الجيل الذى ألف الذلة على يد الفراعنة مع الصغار الذين كبروا بعد إنقاذ آبائهم و لم ترهقهم تلك الذلة فمات الجيل الأول الذليل و بقى هؤلاء و هؤلاء فصاروا أصلح من آبائهم و أحسن للتقويم و التربية كما يعلمه الله من حالهم فكانوا هم الجند ليوشع الذى جرى على أيديهم فتح بيت المقدس و دخوله ، ذلك الهدف الذى نفر منه آباؤهم لجبنهم و ذلهم و خسة طباعهم (والله غالب على أمره) .

إن إجابة موسى لهم بقوله : « اهبطوا مصراً فان لكم ما سألتم » بيان لهم أن مطلبهم المادى الدنيى لا يحصلون عليه إلا فى مصر لجبنهم و ضعف عزائمهم عن دخول الأرض المقدسة التى ضمن الله لهم النصر فيها و التى يجدون فيها ما طلبوه ، وأكثر مما طلبوه من نباتات الأرض ، إذ لو كان فيهم شئ من الرجولة والشهامة لعزفوا عن أرض قد ذاقوا فيها ويلات الخسف و الاضطهاد عزوفاً كاملا يجعلهم

لا يستسيغون ذكرها إذا مر على مسامعهم و لكنهم عنتوا على موسى و وصموه بالغش لهم فى إخراجهم من دار الذل و الهوان زاعمين أنه يريد إهلاكهم فى البرية متناسين أنهم هم الجناة على أنفسهم و على موسى بنكولهم عن الجهاد وعدم اطمئنانهم لوعد الله الأكيد بالنصر و الدخول فى بيت المقدس غالبين .

فاستخفافهم بهذا الأمر العظيم الذى هيأهم الله له لنزاقة طباعهم و استيلاء الخوف و الجبن على نفوسهم و عدم تأثرهم بما شاهدوه من الآيات و المعجزات الباهرة و النعم التى حباهم الله بها ، و لو صحت مزاعمهم فى كراهتهم للطعام الواحد فهم الذين قضوا به على أنفسهم بقولهم لموسى (اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) بل قضوا على أنفسهم بأبشع الأحوال و أفظع الأهوال لو لا رحمة الله الذى يريد أن يخرج من أصلابهم من يقوم بالأمر الذى قضاه .

و العبرة الاجتماعية فى هذه الآية و ما قبلها من الآيات أن الخطاب فيها كان موجهاً إلى المعاصرين لمحمد ﷺ ، و أن الكلام عن الآباء و الأبناء واحد لاتفاق ضمائرهم و تشابه قلوبهم حتى كأنهم هم الذين قتلوا أنفسهم بالتوبة و أنهم هم الذين حققوا بعدها لما قالوا (أرنا الله جهرة) و ما خاطب الله المعاصرين للنبوة بهذا الأسلوب إلا لبيان معنى وحدة الأمة و اعتبار أن ما يبلوها الله به من الحسنات و السيئات و النعم والنقم إنما هو لمعنى موجود فيها بحيث يصح أن يخاطب خلفها بما كان لسالفها كأنه واقع به ليعلم الناس أن سنة الله فى الاجتماع واحدة و أن الأمم يجب أن تكون متكافلة يعتبر كل فرد منها سعادته بسعادة سائر الأفراد وشقاءه بشقائهم و يتوقع نزول العقوبة إذا فشا الذنب فى الأمة و إن لم يواقعها هو .

فان هذا التكافل الذى أرشد إليه القرآن هو أكبر الأسباب لرقى الأمم لأنه يحمل الأمة التى تعرفه على التعاون على البر و التقوى من جميع ضروب الخير ، و على مقاومة الشر بالتزام الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فى جميع الحالات

لايخاف أحدهم فى الله لأمة لائم و لا يخرسه عن النطق بالحق أبطش ظالم ثقة بالله الذى بيده مقاليد الأمور ، و بذلك تنال الأمة الفلاح و تنجو من الخسران و كل من عصى أوامر الله و لم يقم حدود الله من كل أمة فانه لا بد لها من نيل الذلة و المسكنة و تسليط الجبابرة و الطواغيت عليها من جهة و تسليط أولياء الله عليها من جهة أخرى لتأديبها حتى تعود إلى الحق .

فليست المسألة مقصورة على بنى إسرائيل أسلافهم وخلفائهم بل كل أمة عتت عن أمر ربها و رسالته فلها نصيب من ذلك ولكن بنى إسرائيل لا يوجد لهم نظير فى التمرد على الله والافتراء عليه ، والعقوبات على قدر المخالفات ، وقوله سبحانه وتعالى (و ضربت عليهم الذلة و المسكنة) يعنى فرضت و وضعت عليهم الذلة وألزموها إلزاماً حسياً بالطبع و إلزاماً شرعياً بالحكم كما أوجب الله علينا قتالهم و عدم إقرارهم على دينهم الذى لم يلزموه حقاً إلا بدفع الجزية عن يد وهم صاغرون .

فلا يجوز لنا قبول الدية منهم أرسالا و لا مناولة بواسطة لانتفاء الصغار الموجب للذلة المفروضة عليهم شرعاً كما هى سجية لهم طبعاً حتى إن من أبى منهم الصغار بعد عقد أمانة انتقض عقده و وجب قتله كما قرر الفقهاء ذلك استناداً على القرآن و السنة و وقوفاً عند الغاية التى حدها الله فأصبحت الذلة مفروضة عليهم شرعاً و محيطة بهم و مشتملة عليهم طبعاً كمن هو داخل قبة مبنية عليه و مسور بها من جميع الجوانب .

و أما المسكنة فهى الفاقة و الحاجة و تشديد المحنة . و ليس المراد بها فقر المال و فاقته و إنما هو فقر العزة و الاستقلال الشخصى ، فاليهود عندهم ثروة العالم ويتحكمون فى أسواقه و (بورصته) بالمصطلح العصرى ، ولكن لا يرفعون رؤوسهم أو يمدون أعينهم بدون مسند و مؤازر من ضلال النصارى أو منافقى المسلمين أو المحسوبين على الاسلام و هم أبعد الناس عنه كالدروز و النصيرية و القرامطة و نحوهم

مهما اختلفت أسماؤهم و ألقابهم و شعاراتهم ، و الذل يهون على صاحبه قبول الضيم أيا كان نوعه فى سبيل استبقاء الحياة .

و المسكنة تلزم صاحبها الاستكانة و الخضوع الكامل فى القول و العمل ولكن قد يظهر الذليل المسكين مظهر العزيز الجبار المفاخر بتاريخه و ما لديه إذا خلاله الجو و صار فى مأمن من أسود الشرى كحالتهم اليوم حيث هيأوا ظروفاً من مكر جمعياتهم الماسونية و تربيتهم الالحادية التى تولى كبرها الاستعمار بجميع أنواعه حتى قفزوا إلى محل الصدارة من يثقون منه و يطمئنون إليه باطناً و إن شتموه ظاهراً للخداع و التضليل قال الشاعر :

و إذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده و النزالا

و قال الآخر :

و كذا الديار إذا خلت من قائد فالفار فى عرصاتها يستأسد

ولكن فى الوقت الذى ينبرى لهم المؤمنون الصادقون « الذين هم فى صلاتهم خاشعون و الذين هم عن اللغو معرضون و الذين هم للزكاة فاعلون و الذين هم لفروجهم حافظون » المؤمنون الصادقون « الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً و على ربهم يتوكلون » المؤمنون الذين يمسكون بالكتاب لا المعرضون عن الكتاب ، المؤمنون الصادقون الذين يقاتلونهم وأذيالهم معهم بقصد إعلاء كلمة الله و إقامة شريعته فى الأرض لا إقامة حكم علمانى من وضع اليهود يبيح ما حرم الله ويحمى المفترى عليه ، أقول إذا قابلهم المؤمنون الذين على هذه الصفات و المقاصد ، فان اليهود لا يثبتون أمامهم ولا تنفعهم أيضاً جميع الفئات المناصرة لهم من دول الشرق و الغرب أبداً ، كما قال سبحانه فى الآية (١٩) من سورة الأنفال « و ان تغنى عنكم فئتكم شيئاً و لو كثرت ، و أن الله مع المؤمنين » .

في رحاب القرآن الكريم :

تأملات فى سورة البقرة

الباحث القرآنى الشيخ عبد العزيز العلى المطوع

هنا وقفات أخرى فى نطاق سلسلة الآيات الكريمة الواقعة بين الآية ٣٩ — ١٢٤ و منها الآية ٧٩ الواردة فى :

تزييف التوراة :

يتضح منها ما قام به أحبار اليهود حين كتبوا ما راق لهم كتابته من تقديس أنفسهم و تأليه عنصريتهم و تسجيل أحقيتهم وحدهم بملك الدنيا و حيازة الأرض و ما فيها لخدمتهم ، قال جل شأنه ينذرهم بالويل لما صنعوا افتراء على الله (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم و ويل لهم مما يكسبون) و قد وصفت الآية مكاسبهم من التزييف بالقلة لأنها أولا كسب غير مشروع وثانياً لأنها بالقياس إلى موازين الآخرة تافه و زهيد ، ولعل إلى مثل هذا المعنى تشير الآية ٨٦ من سورة البقرة (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب و لا هم ينصرون) .

ومن ادعاءاتهم الباطلة ، ما رد به كتاب الله عليهم فى الآيات (٨٠ - ٨٢) « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون . بلى من كسب سيئة و أحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، و الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة

هم فيها خالدون » على أن عهد الله و ميثاقه هو ما أنزله فى التوراة جملة واحدة دون تفريق فى الايمان ببعضه و الكفر ببعضه الآخر و تحريفه تمشياً مع أهوائهم كما جاء فى الآيات (٨٣ - ٨٥) : (و إذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله و بالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين و قولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة و آتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون . و إذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم و أنتم تشهدون . ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم و تخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم و العدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب و تكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا و يوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) .

قتل الأنبياء :

لقد دمغتهم آيات الله بالصلف والعناد و التعالى و غلظة القلوب ، فما من نبى جاءهم بما لا تهوى أنفسهم إلا كذبوه أو قتلوه و الآيات (من ٨٧ — ٩١) تعلن فى وضوح موقفهم من هؤلاء الأنبياء اعتقاداً من أحبارهم أنهم : آلهة على الأرض — يفرضون ما تهوى أنفسهم على خالق هذا الكون و مرسل الرسل بالحق مبشرين و منذرين و بالتالى يفرضون أهواءهم على الناس و يوجهون لاشباع نزواتهم وجشعهم بمختلف الوسائل ، قال جل شأنه (ولقد آتينا موسى الكتاب و قفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات و أيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم و فريقاً تقتلون . و قالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون .

ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم و كانوا من قبل يستفتحون على

الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين . بئس ما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤوا بغضب على غضب ، وللكافرين عذاب مهين . وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا و يكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم ، قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين) .

حتى كليم الله موسى :

و حتى كليم الله موسى الذى نشأ فيهم و أرسل إليهم و تحدى فرعون مصر بأمر من الله من أجلهم ، و قادهم إلى طريق النجاح إنقاذاً لهم ، و شقت عصاه أمواج البحر أمامهم ، و مهد لهم طريقاً فى البحر يبساً تيسيراً لعبورهم ، و أشهدهم مصرع عدوهم و حول الله على يديه الصحراء اللافحة ظلا وارفاً رحمة بهم ، و فجر من صخرات الجبال ينابيع تجود بالماء العذب إبقاءاً على حياتهم ، و أطعمهم موائد المن و السلوى تكريماً له ولهم ، ومع هذا كله فقد عاندوه و تحدوه و قالوا له (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) (يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) وما كاد موسى يذهب للتشرف باشراقة الوحى الالهى ، حتى صنعوا على يد السامرى عجلا جسداً من ذهب له خوار ودعا بعضهم بعضاً لعبادته وقالوا (هذا إلهكم وإله موسى).

و لقد جاء فى الآيات (٩٢ — ٩٦ من سورة البقرة (و لقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة و اسمعوا قالوا سمعنا و عصينا و أشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بئس ما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين . قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين . و ان يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم و الله عليم بالظالمين) .

و لتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر ، والله بصير بما يعملون) .

و حتى ملائكة الله الكرام :

ويظهر من الآيات التالية ، أنه لم ينج من عداوات اليهود نبى مرسل . أو ملك مكرم ، بسبب أوضاع التاليه التى وضعوا أنفسهم فوق عرشها الخيالى غروراً و تعالياً عن البشر وهم ليسوا فى الغالب إلا بشراً تحمل نفسيات الأبالسة ، وجنوداً على الأرض لقادة المردة والشياطين ، وإلا فما دخلهم بنظام الملائكة و وظائفهم فى الملأ الأعلى أوفوق الأرض حتى يخلعوا على جبريل ثوب الكراهية ويمنحوا ميكائيل رداء التودد والمحبة ، و لكنه الغرور كما قلنا — و الصلف ، قد وضعهم موضع المتحكم فى أقدار هذا الوجود ، و ليس هذا إلا استجابة منهم لما جبلوا عليه من أساليب التكيد والوقيعة بذوا جميع الخلائق فى إتقان أساليبها و طرائقها . فكما أنهم تشيعوا لميكائيل على حساب جبريل — فكذلك أظهر بعضهم إسلامه لانتهاز الفرص المواتية لتفرقة صفوف المسلمين بالغلو فى التشييع والتطرف فى التصوف وإظهار المحبة لأهل البيت المحمدى بقصد النيل من مكانة بعض الصحابة الأفضلين ،

و هذا شأن المغرضين فى كل عصر و مصر تراهم يلتجئون إلى الأسماء الرنانة للتكيد من الدين و أهله ، باسم القومية تارة و باسم الاشتراكية أحياناً ، و باسم التقدمية أو العدالة الاجتماعية أو الاصلاح الوطنى أحياناً أخرى ، بينما الدين الحق يشمل كل هذا ، و لقد كنا نسمع ممن يروم الاساءة إلى مصر مثلا فى أيام حكم عبد الناصر و لا أحد يستطيع أن يرد عليه يقول بأعلى صوته (حرام فيكم عبد الناصر يامصريين) يا كذا ، يا كذا ، يقول ما يشاء ملتجئاً إلى ركن قوى لغاية فى نفسه ، فليحذر المؤمنون من اليهود و أشباههم الذين لا يضمرون لأمتنا و ديننا

السوء متخذين كل وسيلة تحقق لهم أغراضهم الدنيئة ، حمانا الله منهم جميعاً و وفقنا لتحقيق وعده و نصر جنده .

إن المذاهب الباطنية التى أدخلها المنافقون اليهود فى الاسلام على كثرة ما فيها من خلاف وتشعب وتكفير بعضها بعضاً — قد ألبسوها جميعاً ثوب التشيع والحسب لآل بيت الرسول ﷺ و هى ليست إلا صورة لميكروب تقوقع فى غلاف هـذا الحب الجذاب — حتى لا تفضحه شمس الحقيقة للناس .

و فيما يلى ما جاء فى كتاب الله من الآية (٩٧ — ١٠١ من سورة البقرة)

(قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى و بشرى للمؤمنين . من كان عدواً لله و ملائكته و رسله و جبريل و ميكال فان الله عدو للكافرين . ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقين ، أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لايؤمنون ، ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبـذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتـاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) .

ولا أدل على تأصل الغرائز الشريرة فى نفوس اليهود مما جاء فى الآيتين (١٠٢ ١٠٣ من سورة البقرة) حين تابعوا ما تتلو الشياطين المسخرون لسليمان و الذين اتخذوهم أساتذة لهم فأخذوا يستوحون كل ضار ومكروه يتمشى مع ميولهم وأهوائهم دون المنافع مما أنزل الله على الملكين ببـابل هاروت و ماروت رغم تحذير الملكين من الجانب الضار عندما قالوا (إنما نحن فتنة فلا تكفر) قال جل شأنه (و اتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولـكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت و ماروت وما يعلمان من أحـد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء و زوجه

وماهم بضارين به من أحد إلا باذن الله و يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقـد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون . ولو أنهم آمنوا و اتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون) .

وإن من أسلحة اليهود الخبيثة إشغال المجتمعات الاسلامية بالسفسطة و الجـدل إشعالا لأوار الوقيعة بين المسلمين و تصدعاً لوحدتهم و إبعاداً لهم عن طريق الزحف والتقدم ، و استجابة ـ فى الوقت نفسه وإرضاء لغرائز الجدل و اللجاجة فى نفوسهم كما صنع آباؤهم مع موسى عليه السلام ، وما قصة البقرة فى القرآن إلا نموذجاً يصور رغبتهم الملحة فى التشكيك و اللجاجة وما يزال هذا السلاح مشهراً بيدهم عندما يشقون لنفسهم طريقاً للدخول إلى المجتمعات العالمية أو عند ما يستحدثون لهذه الرغبة أو كاراً جديدة تحمل من مغريات الأسماء ماهو كفيل بجذب المتطلعين إليها (الآية ١٠٣ ـ ١٠٥ من سورة البقرة) (ولو أنهم آمنوا و اتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون . يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا و قولوا انظرنا و اسمعوا و للكافرين عذاب أليم . ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركون أن ينزل عليكم من خير من ربكم و الله يختص برحمته من يشاء و الله ذو الفضل العظيم) .

على أن من تمعن فى الآيات بين ١٠٣ إلى ١٣١ من سورة البقرة يرى تحذير الله لمن عاندوا رسول الله و قاموا بتمثيل أدوار التشكيك و اللجاجة التى مثلها بنوإسرائيل مع موسى عليه السلام ، واستبدلوا الكفر بالايمان فضلوا سواء السبيل ، ثم شد القرآن انتباه من حول الرسول فأخبرهم أن الحسد يكاد يأكل صدور اليهود لدخولهم فى دين الله و تأييدهم لنبيه ، بينما أخذت اليهود العزة بالاثم و أصروا على باطلهم مع العلم به ، ثم يشير القرآن إلى أن اليهود لم يكتفوا بما تقـدم بل راحوا يزعمون أن الجنة وقف عليهم لا يدخلها سواهم ، فتحداهم الله وطلب إليهم البرهان

على ذلك مع علمه سلفاً بعجزهم عن تقديمه ، مؤكداً لجميع الخلائق أن الجنة لمن أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ، ثم أخبرت هذه الآيات بما تبادله النصارى و اليهود من اتهام كل فريق للآخر ببطلان معتقده مع علم كل فريق منهما بأن السماء هى مصدر هذه الرسالات ، بعثها الله على يد صفوة خلقه من الرسل فى أزمنة و أمكنة وشعوب متعاقبة ، متدرجين بالبشرية من حسن إلى أحسن حتى إذا بلغت مستوى النضوج - ختمها جميعاً بكتاب الله المنزل على خير خلقه وخاتم رسله كما جاء فى الأثر عنه ﷺ (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

على أن الجنة ليست حكراً على مسيحى لمجرد أنه مسيحى ، و لا هى كذلك ليهودى لمجرد أنه يهودى ، و لا هى لمسلم لمجرد اعتناقه الاسلام وراثة أو اعتقاداً بل إنها لكل من أسلم وجهه لله و هو محسن و فى الآيات (١٢٣ - ١٣٦) من سورة النساء) ما يؤيد ذلك ، قال جلت عظمته (ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوء يجز به و لا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيراً . و من أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله و هو محسن و اتبع ملة إبراهيم حنيفاً و اتخذ الله إبراهيم خليلا . و لله ما فى السماوات و ما فى الأرض و كان الله بكل شئ محيطاً) .

و فى وقوع الآية ١٢٢ من سورة البقرة بين الآيتين ١٢١ - ١٢٣ مايؤكد أن تذكير الله بنى إسرائيل بنعمه و بتفضيله لهم على العالمين — لم يكن إلا ثمرة إيمان جيل منهم بما أوتى من كتاب سماوى فآمنوا به «وتلوه حق تلاوته ، و شرعوا بما جاء فيه ، و طبقوا حدوده و أحكامه ، ثم آمنوا بيوم الجزاء يوم لا تنفع فيه شفاعة الشافعين « و لا تجزى نفس عن نفس شيئاً » و أن ليس لأى إنسان فيه

إلا ما سعى و أن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى ، وجزاء المؤمنين فى الدنيا بهذا كله — التمكين فى الأرض و السيطرة على مكان القيادة و الامامة فيها ، و التفضيل على غيرهم من العالمين ، كما هى سنة تنازع البقاء و بقاء الأصلح .

غير أنه قد خلف هذا الجيل من اليهود من غيروا وبدلوا ، فاستشرت أطماعهم و انحرفت قيادتهم و عاثوا فى الأرض علواً وفساداً ، فحرموا حق الامامة و انتقل زمامها إلى يد غيرهم ممن هم أحق بها منهم .

و إن كان من المؤسف أنهم ما يزالون يتشبثون فى أحقيتهم بعهد الله دون عمل صالح يقومون به بل إنهم على النقيض مما يدعو إليه العهد ، و ذلك بظلمهم و صلفهم و إفسادهم للآخرين .

وقد تقدم فى المقال الخامس من هذه السورة ، ما هو أوسع تفصيلا وأكثر إيضاحاً فى هذا المجال عند استعراض ما تشتمل عليه الآيتان ٤٠ ، ٤١ و هى : « يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون . و آمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم و لا تكونوا أول كافر به ولاتشتروا بآياتى ثمناً قليلا و إياى فاتقون » ثم عدد جل شأنه فى الآيات بعدها ما أنعم الله به على بنى إسرائيل من نعم كثيرة ، و عدد فى لقاء ذلك أخطاءهم و معايبهم و وجههم إلى الاتجاه السليم من الايمان بالله و برسول مصدق لما معهم و ألا يكونوا أول كافر به إلى أن جاء ذكر العهد فى الآية ١٢٤ و هى « و إذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماماً قال و من ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين » .

و فى ذلك ما يربط بين الآية ٤٠ و الآية ١٢٤ فى بيان الصفات المؤهلة لتحقيق عهد الله سبحانه لخليله إبراهيم و الصالحين من ذريته عليهم سلام الله .

الدّعوة الإسلاميّة

طبيعة الإنسان طبيعة التوحيد والحب والإيمان

فضيلة الأستاذ أمين أحسن الاصلاحى
« معرب »

(الحلقة الثانية)

انتفت مما أسلفنا نظرية علماء الارتقاء التى تعتبر أن الدين يبتدىء من دوافع الخوف و الخضوع للظاهر ، إلا أن هناك شبهة تثور من أجل أن طبيعة الانسان إذا كانت تنبع من العبادة الخالصة لله ، التى هى الوجهة الأصيلة لارتقائه الروحى فيما السبب فيما يتوفر فى الدنيا من شهادات العبادة لغير الله ، إن آثار العهد المظلم للتاريخ و عهد المدنية كلها تشير إلى عموم العبادة لغير الله ، فمن المعلوم أن النصارى لم يمض عليهم ستة قرون كاملة حتى عمت فيهم عبادة الصور ، رغماً مما جاء نهيها فى التوراة ، وأقبل اليهود على عبادة الأصنام على أن التوراة أول ما أمرتهم به هو التوحيد ، و أن إبراهيم عليه السلام هاجر من وطنه لمجرد توحيد الله تعالى و استوطن أرضاً مقفرة ، ولكن أولاده هم الذين عمروا بيته الذى بناه بأمر الله لعبادة الله بالأصنام ، بينما ينادى القرآن أن التوحيد الخالص هو طبيعة الانسان ، و إن كانت الوقائع التاريخية تشهد خلاف ذلك .

هذا سؤال يجب أن نرد عليه و بذلك تنتفى النتيجة الثانية لعلماء الارتقاء التى سبق ذكرها .

إن كثرة العبادة للأصنام و وجود الشرك فى هذا العالم لا تعتبر دليلا على أن الشرك و الوثنية هى طبيعة الانسان ، إن الطفل مثلا ما دام صغيراً لا يميز بين ما يؤكل و ما لا يؤكل فيحاول أن يأكل كل شئ يجد أمامه ، وإن

كان حجراً أو حديداً ، و لا يلبث أن يترك واحداً و يتناول آخر ، و ثالثاً و رابعاً ، فان زعم أحد أن إقبال الطفل على هذه الأشياء طبيعة منه ، رأى إليه الناس شزراً . إن الولد لا يستطيع أن يعرف غذاءه الطبيعى الذى يكمن فى ثديى أمه ، فيظن كل شئ غذاءه الطبيعى ، كذلك الانسان إذا كان مقبلا فى عهد طفولته على عبادة الأصنام و المظاهر فلا يعنى أن ذلك طبيعته ، بل الحقيقة أن حيرته هذه إنما كانت فى البحث عن المعبود الحقيق الذى ذهب به كل مذهب ، وسار به كل درب ، و ينبغى أن نلاحظ أن الطفل ربما تناديه أمه و لكنه لا يرضى بمفارقة ما يشغله من الأشياء ، حتى تأخذه الأم و تحتضن به و تقدم له غذاءه الطيب فى ثديه ، و لكنه فور ما تدعه أمه يقبل على ما يجد أمامه و يشتغل به .

فمن المعقول جداً أن يوجد حتى فى العهد المظلم للتاريخ رجال من عباد الله الذين كانت فطرتهم سليمة واعية فأيقظوا الفطر بين فترة وأخرى كطبيعة الأطفال ، فكان الناس يتلهون بالألاعيب ، و الفطرة تتأرجح بين الاخفاق و النجاح .

و قد يعترض بعض الناس فيقولون إن الانسان يجب أن يولد على فطرته و يتربى عليها و يموت دونها ، فما معنى النجاح و الاخفاق فى هذا الشأن و أقل ما ينبغى أن لا تضل الفطرة بعد الاهتداء .

إن مصدر هذه الشبهة أن هؤلاء الناس لا يفرقون بين فطرة الانسان و طبيعة الحيوان ، إذ أن طبيعة الحيوان تتقيد بقيود محدودة ، و عليها يولد و ينشأ ويكتمل الحيوان ، و لم تمنحه القدرة الالهية أى فرصة لانحرافه عنها أو تطويره إياها ، إنك لو أغلقت دكان لحم على حمام مثلا فانه يفضل الموت على التمتع بجميع ذخائر اللحم الموجودة فيه كما أن قطة إذا أغلقت فى خزانة فواكه فانها تموت دونها من غير أن تنتفع بها ، ولكن فطرة الانسان تختلف عن طبائع الحيوان تماماً ، وبهذه المناسبة يسعدنى أن استعير كلمة للامام عبد الحميد الفراهى المفسر القرآنى ، يقول :

« إن آيات الحكمة و الرحمة التى يشاهدها الانسان فى جميع أنحاء العالم ، و الانجذاب إلى الرب تعالى الذى يشعر به عند كل مصيبة تدل على أنه ينال شهادة من داخل نفسه ومن خارجه على وجود حاكم مطلق ، ولا شك أن شهادة مثلها لا يوفرها الأصنام ولا الأموات ، و لكن فطرة الانسان ليست كسائر الحيوانات التى استعبدت لمصلحة الانسان وأطاق الانسان حراً طليقاً لكى يتقدم ويزدهر بجهوده و مساعيه ، ولذلك فان الحيوان سيق إلى طريق وهو يمشى نحوه ، أما الانسان فقد أودع الله فيه العلم و العقل . ففطرة الانسان علمه وكفاءته ، و كلما نراه اليوم من آثار التقدم و النهضة التى أحرزها الانسان إنما هى ثمار علمه و مؤهلاته .

أما القول بأن المؤهلات هى الفطرة فذلك مالا يختص بالانسان وحده ، إن ولد الطاؤس لا يعدو مضغة لحم ولكنه حينما يشب و تتبدى الألوان المختلفة فى ريشه نرى ذلك نتيجة الفطرة أيضاً ، كذلك ولد الانسان الذى هو أضعف بالنسبة إلى الحيوان جسما وعقلا إذا شب و تجلت فيه آثار العقل والقوة ألا نعتبر ذلك نتيجة لفطرته العالية ، ومن ثم فان معنى الفطرة يتحد فى الانسان و غيره ، إلا أن فطرته تتميز بميزة لاتوجد فى فطرة أخرى ، وهى أنه أضعف شئ فى البداية ولكنه يتفوق فى النهاية على كل شئ ، حتى لايمكن أن يدرك قعر طاقته ، لكن ذلك كله بين ضعفين ، ولولا ذلك لم يستنكر من الانسان دعوى الربوبية ، فبمجرد أن فطرة الانسان تقطع آخر مراحل التقدم لا يستبعد منه أن يضل الطريق أكثر الأحيان ، فكان نصيبه حرية الرأى و طول الطريق والتحق بهما مشكلة أخرى لاتفارقهما أبداً ، وهى أن الانسان إنما أقيم على مفترق طريق الخير و الشر الذى إذا لم يكن لعادت كلمة الحرية لفظاً بلا معنى ، و ضاق مجال التقدم .

و من ثم أصبح الاجتهاد و الجاذبية من لوازم الفطرة الانسانية وأصبح التقدم بخطى سريعـــة بين صراع الخير و الشر ، و إخضاع النفس الأمارة للطاعـــة واجبه الانسانى .

و لكن الله سبحانه و تعالى عند ما جعل الانسان بين هذه المشكلات وعده بالنصر أيضاً ، و أوجد وسائل الهداية فى داخله وخارجه على السواء فكما أن الطفل الرضيع الذى هيأ له حضن الأم ، كذلك هيأ للانسان الأنبياء و الرسل و أكرمه بالهداية ، وإن الله الذى يسقى الأرض الميتة بالأمطار هو الذى يعمر القلوب الخاوية بكلامه و هدايته ، و كما أنه يفجر الينابيع والأنهار من بعض الجبال الشاهقة كذلك يفجر بعض القلوب الواعية بينابيع كلامه ، فاذا ما ظل الانسان يعيش فى غفلة رغم جميع هذه التدابير و الاهتمامات الربانية و أعرض عن ربه فلا شك أنه محـــارب لفطرته ، و إذا كان التاريخ لا يخلو من أمثلة العبادة للأصنام ، فانه يزخر بأمثال الحروب العنيفـــة ضد عبادة الأصنام ، إن غبار الشرك يتراكم على التوحيد تدريجياً و لكن لمعاناً قليلا من التوحيد يغلب على ظلام الشرك ويضيئى القلوب ، الأمر الذى ينتج أن الفطرة البشرية تلائم التوحيد لأنها تتقدم نحوه بخطى حثيثة ، و لا يتقدم إلى الشرك إلا ببطء و تثاقل .

لقد دل هذا الكلام بوضوح على أن بين فطرة الانسان و طبيعة الحيوان فروقاً أساسية ، و أول هذه الفروق أن الانسان يتمتع بالحرية مع الفطرة العالية والخلق الجميل ، و أن هذه الحرية هى التى تتسفل به بعض الأحيان إلى أسفل السافلين رغم خلقه فى أحسن تقويم و تمتعه بالفطرة العالية .

أما الفرق الثانى فهو أن قوى الانسان و مؤهلاته عميقة جداً ، فيطول طريقه ويحتاج إلى قطع مرحلة طويلة للتقدم ، إذ أن طريقه ليس قصيراً كالحيوان ، فلابد من أن يتقدم ويتأخر ويتسفل ويترفع فى طريقه الطويل وحريته المتيسرة ، كأمر طبيعى ،

و الفرق الثالث أنه وضع فى محنة مع طول طريقه و حرية رأيه ، و لذلك فانه يواجه الدنيا نقداً ، و الآخرة نسيئة ، و المعروف صعباً و المنكر سهلا ، والحرام لذيذاً و كثيراً ، والحلال مراً و قليلا ، ويرى ثمار الحق آجلة ونتائج الباطل عاجلة ، و الحقيقة مختفية ، و الأوهام جميلة جذابة ، وكل ذلك لكى يمتحنه الله سبحانه ويرى هل هو يسعى إلى الخير أم يتقدم نحو الشر ، وهل هو يقبل على إشارة فطرته الحقيقية المختفية أم يستجيب للأهواء الخلابة المعارضة للفطرة ، ولا شك فان هذا الامتحان صعب جداً ولكن النفس اللوامة للفطرة ليست ضعيفة كذلك ، فانها تمهد الطريق للانسان بين كل ظلام ، و توجه إشارات واضحة لهداية الانسان فلا يلبث الانسان إلا و يرى هذه الاشارات و يسمع صداها ، و لكنها هى النفس و المحسوسات المادية التى لا تفارقه فيعصى ربه و هو يسمع نداءه ويعدل عن طريقه وهو ينظر إلى حجة ربه ، و تلك هى الحقيقـــة التى بينها الله تعالى فى قوله : « و لا أقسم بالنفس اللوامـــة » « بل يريد الانسان ليفجر أمامه » و قوله « بل الانسان على نفسه بصيرة و لو ألقى معاذيره » .

اقتضت شدة امتحانه أن يبعث الله تعالى لهـــداية الانسان أنبياء و رسلا ، و رغم أن جاذبية الفطرة إلى الله تعالى لم تكن ضعيفة و لكن الدنيا و التزاماتها ، و النفس وخداعها والشيطان و مكايده لم تكن تأذن بالانصراف عنها تماماً فأرادت رحمة الله أن تهيئى علاجها و وسائل مقاومتها ، و قد ذكر القرآن الكريم أن الله تعالى لما أهبط آدم مع إبليس إلى هذه الدنيا وعده بارسال هدايته و بعث أنبيائه ، فقال : « فاما يأتينكم منى هدى » و ذلك لكى لا تنفرد فطرة الانسان فى هـــذه المقاومة بل ترافقها نصرة أنبيائه و كتبه و ملآئكته ، وقد كان ذلك مدداً مضاعفاً تأييداً و تقوية للفطرة ، حتى تمت حجة الله على الانسان و لم يعد أمر الهداية من مصادفات الزمان و لم يبق عند الانسان أى عذر غداً .

و الآن لسنا بحاجة إلى بيان أن أصل الأديان السماوية كلها واحد ، ولذلك فان مبدء الاسلام و الأديان السماوية ليس دافع الخوف وإنما هو دافع الحب لله ، كما أن أساس الشرك والوثنية على شئ آخر ، ومن ثم فان الاسم الحقيقى للاسلام و لجميع الأديان السماوية هو الاسلام ، و ذلك هو الدين الحقيقى منـــذ أن خلق الله الكون .

إن الانسان لم يخلق فى هـذا العالم لمجرد أن يعيش ، بل إن الغاية من خلقـه هى أن يبلغ بمؤهلاته العالية التى أودعها الله فى طبيعته إلى آخر درجة من الكمال والنضج و من أجل ذلك فقط منحه الله تعالى فرصة الحياة فى هذا العالم ، فان كانت هذه الغاية لا تتحقق ، فمعى ذلك أن وجوده عبث مع أن الله سبحانه لا يحب العبث .

إن مبدء الارتقاء الروحانى للانسان هو الدافع الخالص لعبادة الله تعالى و بها وحدها يسير على درب الارتقاء الروحانى الأصيل ، ولما تفرقت به السبل عن هذا الصراط حاد عن طريق الارتقاء الفطرى ، و بما أن الله سبحانه و تعالى رحيم مع عباده لم يكتف لهم بهداية الفطرة بل إنه بعث إليهم الأنبياء و الرسل لكى يسوقوهم إلى طريقه الصحيح المستقيم ، و يهدوهم إلى عبادة الله تعالى حتى يتمكنوا بتربيتهم المثالية و فطرتهم العالية من تنشئة جماعة صالحة تمشى على جادة الارتقاء الفطرى .

و قد تم ما أراد الله من تهيئة وسائل الهداية للانسان ولم يبق له إلا طريقين إما أن يكشف الحجب عن وجه الحقائق كلها بقـدرته الكاملة و يمكن الانسان من مشاهدة عالم الغيب و الشهادة كله أو يضطره إلى الاهتداء ، و لـكن هذا الاكراه و كشف الحجب ينافى سنة المحنة و الحرية التى ذكرناها آنفاً .

إذن فلأى شئ يعيش الانسان و لماذا تمهله القدرة الالهيـــة أن يعيش ؟ إن هذا الانسان لا يستطيع الآن سوى أن يضل غيره مع ضلالته ، كما جاء فى سورة

نوح « إن تذرهم يضلوا عبادك و لا يلدوا إلا فاجراً كفاراً » و من أجل ذلك كانت سنة الله فى الأمم التى بعث فيها الأنبياء والرسل وتمت فيها حجتهم ودعوتهم ، أن ميز الله الصالحين منهم و أخذ الفاسقين و الأشراء بالعذاب ، و ذلك ما يقتضيه قانون « بقاء الأصلح » .

و لـكن هذه السنة خاصة بالأنبياء و المرسلين و لها قواعـد مستقلة يتضمنها القرآن فى آيات مختلفة ، أما غيرهم من رجال الدعوة و التربية فلا تساوى حجتهم بحجة الأنبياء و لذلك لم يمنحوا حق القضاء على الفاسقين والمنكرين إلا إذا اهتدى أحد ثم ارتد ، و لـكن الحق الذى يتمتعون به نحو هؤلاء الفاسقين هو أن يسلبوا زمام القيادة من أيديهم لكى لا يعيثوا فى الأرض فساداً و يتربوا فى قيادة صالحة حتى إذا انكشف عليهم الحق اهتدوا .

اتضح من كل ما ذكرنا أن مبدء الدين هو دافع الحب الذى نشأ فى طبيعة الولد لوالديه ، و فى طبيعة الـكبار للنعم الحقيقى سوى الوالدين ، و هذا الحب هو الذى تولى تفجير طـاقات الحمـــد و الشكر للنعم الحقيقى و دافع الاعتراف بالجميل للوالدين . وإن دافع الحمد والشكر لله تعالى أنشأ فكرة الاقبال على الله ، تلك التى تشكلت بأشكال الصلاة و العبادة ، كما أن دافع المنة للوالدين أحدث فى نفس الولد فكرة الخدمة و الانفاق عليهم ، وهى التى تدرجت إلى فكرة الايثار لذوى القربى ، و ظهرت فى صورة الزكاة ، و هكذا ابتدأ ارتقـاء الروح البشرى ، و نالت العقائد والعبادات كلها قوة بفكرة تأدية حقوق الله تعالى ، وذلك هو الصراط المستقيم للفطرة و عبادة الله تعالى ، و تلك هى جادة الارتقاء الروحى ، يلتقى على جانبيهـا أبونا آدم عليه السلام و رسولنـا محمد ﷺ و بينهما آلاف مؤلفـــة من الأنبياء و الرسل ودعاة الحق والخير ، أولئك الذين دعوا إلى الله فاستجاب له من استجاب ، و أعرض عنه من أعرض .

القلق
و كيف عالجه الاسلام

الامام لواء الاسلام العبادى

إن القلق إذا أصاب الانسان أضعف إرادته وشل فكره و أدى به إلى الاجرام وارتكاب الجنايات وألقاه فى طريق الحقد والحسد فيعيش والكمد يغشى قلبه فلا يكفر إلا فى إخفاقه و يلوم نفسه لأدنى الأخطار و ينظر إلى الدنيا بمنظار أسود و يكون متردداً فى عمله خائفاً عن مستقبله ضعيف الثقة بنفسه و أسباب القلق هى ضعف الثقة بالله و بالنفس و ضعف الايمان و الارادة .

و الايمان بالله تعالى يربى الانسان على كيفية نفسية قائمة على الثقة بالله ويزود المؤمن برصيد غير منقطع من قوة القلب واطمئنان الروح . ولو سدت فى وجه كل أبواب الدنيا فيدعو خالقه ويرجو رحمته التى وسعت كل شئ . وكيف يقلق ويخاف ويعلم أن الله بجانبه يحميه ويعطيه و يرزقه وهو مستعد لأن يستجيب له ، أليس هو الذى يقول : (وقال ربكم ادعونى استجب لكم) (أجيب دعوة الداع إذا دعان) ، و يأمره بالعمل والجد و عدم اليأس فيقول (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) ، فيكون المؤمن قوياً كالجبل صلباً كالحجر ذا عزيمة جبارة و إراده حديدية يستطيع بها الفوز بما يريد .

على أنه من المحال للانسان أن ينال مثل هذه القوة بوسيلة غير الايمان لأن

الذى لا يؤمن بالله إنما يتوكل على الأسباب المادية الضعيفة وما أسرع هويها وسقوطها لأنها كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً من دون الله ألا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت ، و مثل هذا ما أسرع دخول اليأس و الخور إلى نفسه و قلبه .

وقد كثر القلق فى هذا العصر وأصبح غالب الناس إن لم نقل كلهم يعانى منه ، ومن الآمن مع بلوغ التقدم المادى إلى نهايته والرقى والغنى إلى غايته خاصة فى بلدان أوربة و أمريكة فقد دلت الاحصائيات أن (٠٩٩ ٪) من الأفرنج يعانون منه حتى كثر فيهم المعتوهون والبله والشواذ والمنحرفون من أمراض النفس والعقل وكلهم إنسان يعانى من الهم الملازم و العصبية و قلة الصبر و ضعف الارادة ، و هذا ما يلاحظه كل فرد عنهم عن كثب لاعن كتب .

وذكر الكاتب الأمريكى (أريك جون دنج وول) فى كتابه « المرأة الأمريكية » أن الولايات المتحدة عشرين مليون منهم يعانون الأمراض النفسية و العصبية أى نحو عشر سكان أمريكا و فى السويد (٢٥ ٪) يعانون من هذه الأمراض و إن (٣٠ ٪) من مجموع النفقات الطبية تنفق فى علاج مثل هذه الأمراض و أما نسبة حالات الانتحار بين الشباب تزداد يوماً بعد يوم و عقب المراقبون على هذه الاحصائية بقولهم إنها تزداد كثيراً على مر الأيام و أنها تدعو إلى الذهول .

فانظر أيها القارى إلى هذين البلدين و هما من أكبر بلدان العالم تقدماً و ثراء وغنى ، كيف بلغت الحال عندهم ؟ و ما ظهرت الحركات الهيبية و ما أشبهها إلا لما يعانيه هؤلاء من هذه الحالة القاتلة الشقية فلم يجدوا مفراً من ذلك إلا بهذه الحركات السامة التى تدعو إلى التلذذ بالأقذار و الأنجاس و تحويل الانسان إلى حيوان شهوانى قذر ، إلى غير ذلك من الخبائث التى لو كتبت على هذه الصفحات لنجستها .

و هذا الأدب الغربى فلا نرى فيـــه إلا التألم و التشاؤم و اليأس من الحياة و النظر إليها بالتعاسة و العبث ، و أصبح الجنون و الهوس فناً و آداباً رفيعـــة .

وبعد هذا يقول ساسة الغرب وعلماؤه ومفكروه — و ما أكذب ما قالوه — بأن القلق و الخوف و كثرة الجرائم ما هى إلا مرض العصر و الحضارة والتقدم و كأن غير المتحضر أو المتقـــدم ليس له قلب يقلق به و عقل يفكر به و كأن الهموم و الأحزان و المخاوف و الأشجان لم تكن تعرفها البشرية منـذ أن خلق الله الأرض و من عليها و كأن الشفاء لم يكن ملازم الكفر فى أى عصر كان و إلا لما اهتمت الأديان منذ آلاف السنين بالقلق و المخاوف و علاجهما .

لقد قامت الحضارة الاسلامية و لم يكن يعرف منها شئ من أمثال هـــذه الأمراض لأن العدل والسلام كان عاماً شاملا ، وكذا قامت قبل الحضارة الاسلامية حضارات جاهليـة كحضارة الروم و اليونان و ذكر المؤرخون عن شقائهم و كثرة هذه الأمراض فيهم الشئ الكثير مما لم يكن فيها غيرها من الحضارات ، و هكذا حضارة الغرب أصابها ما أصاب حضارتها السابقة لأنها قائمة على الجاهلية و المادية البحتة و ستظل كذلك حتى يأذن الله بخرابها ما دامت قائمة على المادية .

و إنما كثرت هذه الأمراض فى هذا العصر و فى هذه المدنيـة لابتعاد الناس عن الله و عن الروح .

و الخوف من العوائق التى تمنع الانسان من السعادة فى الحياة الدنيا فهو نكبة من نكبات الحياة التى تهز مشاعر المرء و تضعف مقاومته فيظل مكروب الأنفاس قد لاح فى وجهه الدهش و الاضطراب و هذا شئ يبيد الانسان و يدمر حياته و يسبب له أمراض النفس و البدن ، و لا يستطيع الفرد أن يفكر و ينفع نفسه

و غيره بل تراه غالب أحيانه حزيناً كئيباً شارد البال مطرق الرأس فهو لا يفكر فى كيفية الوصول إلى ما يريد أو فى أمر نافع بل يضيع وقته هباء فى الحزن .

و من المؤسف أن القلق يجسم الأحزان و يحيل الأوهام الحزينة إلى فواجع واقعة و كثيراً ما تنقلب المخاوف إلى مآس دامية كما أن المخاوف تحدث و تصدق و تنقلب إلى حقيقة لأنها تضعف الانسان ثقته بنفسه و تضعف عزيمته و تشل فكره كما بيناه سابقاً .

والشخص القلق يعيش دائماً يؤوساً متشكاً متشائماً أسود الخيال والفكر والعقل والقلب ، ينشد الخير فلايجده لأنه يعيش فى ظلمات بعضها فوق بعض يعتقد السفالة و الخبث و النذالة فى كل الناس ويسيئ الظن بالله و بجميع المخلوقات .

و الايمان يا أخى هو الذى ينقذك من هـــذا المرض الذى أصاب كثيراً من الناس حتى أصبحوا يشكون منه و الزهد هو الذى يقى الفرد من هـذا الوبال و هذا الحال .

فانزع عنك القلق و اغرس بدله الايمان و العزيمة و اخص الأمور و الحياة فحصاً سليماً حكيماً و كن عاقلا و تذكر أن القلق لا يفيدك بل يضرك فتخلص منه بالايمان و حسن الظن بالله و أكثر من ذكر الله و إذا حصل لك شئ منـــه فتوضأ و استحضر الله فى ذاتك وصل ركعتين و سبح بعد ذلك و سوف يذهب عنك الخوف و القلق .

و تأمل الكون و الذات العلية تعرف تفاهة الحياة الدنيا و صغرها عنـد الله و عند العقلاء و لا تظن أن المال و الحصول على المتع الدنيئة هو السعادة و إنما راحة النفس و البال و القناعة و الصبر هى السعادة الحقة ، و تذكر نعم الله عليك

« البقية على ص ٤٢ »

اقتصادنا في ضوء الإسلام

بحوث

الربا ومناطق نفوذه في الحياة والمجتمع

بقلم : الأستاذ عبد الرحمن الكيلانى (باكستان)

تعريب : الأستاذ نور عالم الأمينى

(الحلقة الأخيرة)

الاحتكار ، و ارتفاع الأسعار ، :

قد يمتنع الملاك والتجار - لاشباع نهمهم فى المال والثراء - عن بيع الحاصلات و الغلات التى تنتجها الأرض أو تأتى عن طريق البيع و الشراء ، حتى إذا غلت الأسعار و نقصت الأطعمة فى السوق ، ليبيعونها و يربحون ما يشاؤن الربح ، وهذا هو الاحتكار الذى حرمته الشريعة الاسلامية ، إلا أن المحتكرين فى عصرنا ، أطلقوا على ما يصنعونه اسم « التجارة الحرة » حتى يستحلوا ما حرم الله ، و الحقيقة أن الاحتكار استغلال شنيع للفقراء و ذوى الحاجة .

تأثير الاحتكار السلبى على الاقتصاد الوطنى العام :

و للاحتكار أسوأ الأثر فى الاقتصاد الوطنى ، حيث تحتجب الأطعمة والأمتعة عن السوق ، فترفع الأسعار ، و لا تجنى ثمارها المرة إلا الشعب البائس الذى قلت ذات يده على حين يربح التجار و الملاك .

الاحتكار و دور البنك :

و ربما يضع التجار عروضهم تحت تصرف البنوك للحصول على المزيد من الديون ، يقال لهذه العملية (PLEDGE) و تقرض البنوك عوضاً عن هذا

المبلغ ، وقد راج ذلك رواجاً مفرطاً ، فأصبح كل تاجر فى السوق يضع عروضه تحت تصرف البنوك طمعاً فى الأكثر فالأكثر من الديون الربوية ،

و هذا الصنيع الذى يصنعه الرأسماليون والبنوك معـاً ، يزيد الشعب المنكوب بؤساً و فقراً ، و مواجهة للغلاء و ارتفاع الأسعار ، أما أصحاب رؤوس الأموال و البنوك ، فكلاهما يضربان بالقسط الأوفر من الربح ، حيث يستطيع البنـك أن يصرف أكثر ما يمكن من الدولارات و الريالات فى الصفقة الربوية . كما يمكن التجار و أصحاب رؤوس الأموال أن يبيعوا غلاتهم بأرفع السعر و أغلى الثمن ، هذا من جهة ، و من جهة أخرى يستطيع أن يأخذ المزيد من المبلغ ليوسع نطاق تجارته .

و هـذه الآثار السيئة الفادحة الضرر ، التى يتركها الاحتكار لم تعد خافيـة على الدولة و من ثم فهيت تفكر فى وضع قانون يكون سداً منيعاً بين هذه الصفقة : (Pledging) و بين الذين يأتونها .

و إلى جانب ذلك اقرأوا أحاديث النبى – ﷺ – تروا كيف تؤكد الانكار على الاحتكار :

« عن معاذ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : بئس العبد المحتكر إن أرخص الله الأسعار ، حزن ، و إن أغلاها ، فرح (١) »

« عن عمر عن النبى ﷺ قال : الجالب مرزوق ، و المحتكر ملعون (٢) » .

و لتكسب الربح الزائد طريقتـان ، الأولى أن يسرع فى بيع سلعه ثم يشترى من ثمنها و يكرر بيعها و يستأنف الشراء فالبيع ، فالشراء ، فالبيع ، هكذا ، و هذه الطريقة مباحـة مستحسنة لدى الشريعـة الاسلامية ، وهى فى الوقت نفسه مؤثرة

(١) رواه البيهقى فى شعب الايمان .
(٢) رواه ابن ماجة و الدارمى .

تأثيراً إيجابياً حسناً على الاقتصاد الوطنى . و الثانية هى الاحتكار الذى ذمته الشريعة وشنعته ، وهو يلحق الضرر الفادح والخسارة النكراء بالاقتصاد الوطنى ، و لأمر ما لعن النبى الكريم رسولنا محمد ﷺ المحتكر : « عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : « من احتكر طعاماً أربعين يوماً يريد به الغلاء ، فقد برىء من الله وبرىء الله منه » (٣) و الاحتكار الذى شنعته الأحاديث النبوية ، يتصل بالأطعمة و الأجناس المأكولة ، و من المعـلوم أن المحتكر فى الواقع يستغل بؤس و شقاء و فقر و أزمـة الشعب الاقتصادية ، أشنع استغال ، حيث يدخر و يدخر ، حتى إذا غلت الأسعار غلاءاً لا يطاق ، و يصبح الشعب يموت جوعاً ، و يذهب ضحايا الفاقة ، فهو يمتص الثمالة الباقية من دمائهم و مهجتهم على حساب الحدب و العطف عليهم و الأخذ بأيديهم فى هذا الوقت العصيب ، و لذلك فكان الاحتكار عند الشريعة جرماً لا يغتفر ولو تصدق المحتكر بما احتكره ، لا يكون ذلك كفارة عنه أبداً ، كما جاء فى الحديث الشريف :

« عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال : من احتكر طعامـاً أربعين يوماً ثم تصدق به لم يكن له كفارة (١) » .

أما الأشياء غير المأكولة ، من أدوات البناء ، و الأثواب وما إلى ذلك ، فلا شك أن الاحتراز عن الاحتكار فى ذلك شئ يستحسن على كل حال .

التسعير (CONTROLING) :

و هناك أمر آخر سوى الاحتكار يسبب اختفاء الأشياء الاستهلاكية عن السوق وغلائها ، وذلك هو التسعير ، فالأشياء التى تسعرها الحكومة لا تستطيع هى أن توفر للشعب حسب الحاجة – وإلا لما اضطرت إلى التسعير – و ينشأ عن ذلك أن تغلوا الأشياء فى الأسواق السوداء كذلك ، و الواقع أن الأشياء لاتنقص فى الأسواق وإنما

(١-٢) رزين .

تباع سراً بأرفع الأثمان و أغلى الأسعار ، و من ثم فان تأثير التسعير السلبي الضار أكثر و أشد بكثير من تأثيره الايجابى النافع ، وقد اتفق أن الأسعار ارتفعت فى عهد النبى ﷺ فالتمسوا منه ﷺ — التسعير ، فقال :

« إن الله تعالى هو الخالق القابض الباسط الرازق المسعر ، و إنى لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبنى أحد بمظلمة ظلمتها إياه فى دم ولا مال » (١)

و الجزء الأخير من الحديث يسترعى الانتباه خاصة ، فيقول النبى ﷺ « إنى لأرجو الخ » مما يدل على أن تسعير الأشياء يودى حتماً إلى ظلم البائع أو المشترى و هضم حق هذا أو ذاك ، ذلك الذى لم يرض النبى ﷺ أن تعود مسؤلية عليه. و يكون هو حامل عبئها .

وكلنا يعلم أن الحكومة تنشئ عند التسعير مستودعات للأشياء التى يسعرها ، حتى يحصل عليها الشعب حسب تسعير الحكومة ، وذلك بالبطاقات المسجلة لدى الحكومة ، و هذه الطريقة تفضى إلى أنواع المفاسد و الخيانات ، و يكون أمين المستودع -Depot Holder- هو متولى كبرها الذى يماطل البعض على حساب البعض ، ويتكرم على البعض - عن طريق الرشوة - باعطائه أكثر من حقه ، على حساب البعض كذلك ، و يتجر فيما يستبقيه - دون استحقاق - فى السوق السوداء ، وعلى ذلك فيكون عوناً على إضافة سوق أخرى إلى الأسواق السوداء .

أضرار و مفاسد التسعير :

على كل فيشتمل التسعير على مفاسد آتية :

١- لايوجد فى التسعير ذلك الرضا الذى اشترط القرآن الكريم أن يتوفر فيما بين البائع و المشترى ، ففى التسعير يكون المشترى مكرهاً على الاشتراء مهما كان السعر.

(١) رواه الترمذى و أبوداؤد و ابن حبان ، و أحمد فى مسنده و البيهقى فى سننه .

٢ - و الأشياء المسعرة - بالفتح - لا تتيسر بقدر الحاجة ، بل و ربما تختفى عن السوق فضلا عن أن تتوفر .

٣ - ثم تنفتح سوق جديدة سوداء يضطر المشترى فيها أن يدفع الثمن المطلوب من البائع - مهما زاد ،

٤ - تبتدىء عملية غش الأشياء المسعرة على أوسع نطاق .

٥ - و تتطرف أمراض أخلاقية لاتحصى إلى المجتمع التجارى ، والحياة الاجتماعية .

و نظراً إلى ذلك كله فان التسعير يتنافى مع طبيعة الشريعة الاسلامية .

ثم إنه ليس هناك فى الاسلام ما يسمى بـ « السوق السوداء » ، و قد علمنا أنها نتيجة تسعير الأشياء ، و إذن فان التسعير لا يتفق والمجتمع الاسلامى ، والتجارة حرة فى المجتمع الاسلامى لا رقابة عليها ، لأن الاسلام يقرر بيع الأشياء حرة فى سوق حرة .

رسوم الجمرك و تهريب البضائع :

ولا يفرض الاسلام رقابة ما على استيراد أو تصدير الأشياء سواء أكانا على النطاق الداخلى - فى داخل البلاد - أو النطاق الخارجى - خارج البلاد - و إذا كان الاسلام من أنصار التجارة الحرة فلا يجوز عنده جبى الرسوم الجمركية .

وقد أحاطت بمجتمعنا مصيبة أخرى هى تهريب البضائع ، و هو استيراد أو تصدير البضائع من « الباب السرى » اتقاءاً لرسوم الجمرك أو تخلصاً من الضرائب ، و وجود هذه المصيبة مدين لمبادىء غير إسلامية للتجارة .

التجارة الحرة و رسوم الجمرك :

أما إذا استعرضنا التاريخ الاسلامى ، فلا نجد إلا أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد أخذ فى عهد خلافته شيئاً يسيراً كرسوم الجمرك من التجار غير

الربا و مناطق نفوذه فى الحياة المجتمع ★

المسلمين الذين أنزلو بضائعهم على الموانئ الاسلامية ، و لكن كان ذلك كاجراءات مضادة لما صنعه الكفار مع المسلمين ، من أخذ الرسوم الجمركية .

أما دوائر رسوم الجمرك التى أقيمت بهذه الكثرة الهائلة عندنا ، حتى فى داخل البلاد ، وما يؤخذ بصورة عامة ، و على طريقة شاملة . من أبناء البلاد وغير أبناء البلاد . و على الأموال و البضائع الشخصية و التجارية معاً ، فان ذلك لا مبرر له فى ضوء وجهة النظر الاسلامية .

« بقية المنشور على ص ٣٥ »

من الصحة و العافية و حسن الحال مما لم ينعم على غيرك فاشكر ربك كثيراً وسبح بالعشى و الابكار .

و الآن أكرر و أقول بأن ما أصاب الناس فى هذا العصر من الأمراض النفسية والبدنية إن هو إلا من الآثام و ضعف الايمان و سوء الظن بجميع الكون مع أن الله سخره له لخدمته و جعله طوع أمره و ظهر أثر ذلك فى هذا العصر الرهيب المشئوم ، عصر الآلة و المادية و طغيان الانسان .

حقيقة الضريبة و حقيقة الزكاة

فضيلة الدكتور يوسف القرضاوى

الضريبة كما عرفها علماء المالية : فريضة إلزامية ، يلتزم الممول بأدائها إلى الدولة ، تبعاً لمقدرته على الدفع ، بغض النظر عن المنافع التى تعود عليه من وراء الخدمات التى تؤديها السلطات العامة . و تستخدم حصيلتها فى تغطية النفقات العامة من ناحية ، و تحقيق بعض الأهداف الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية و غيرها من الأغراض التى تنشد الدولة تحقيقها من ناحية أخرى (١) .

و الزكاة — كما عرفها فقهاء الشريعة — حق مقدر فرضه الله فى أموال المسلمين لمن سماهم فى كتابه من الفقراء و المساكين وسائر المستحقين ، شكراً لنعمته تعالى ، و تقرباً إليه ، و تزكية للنفس و المال .

أوجه الاتفاق بين الزكاة و الضريبة :

و من خلال التعريفين يتضح لنا أن هناك أوجه اختلاف ، و أوجه اتفاق بين الضريبة و الزكاة ، و سنبدأ ببيان أوجه الاتفاق .

١ - فعنصر القسر و الالزام الذى لا تتحقق الضريبة إلا به ، موجود فى الزكاة إذا تأخر المسلم عن أدائها بدافع الايمان ، و مقتضى الاسلام ، و أى قسر وإلزام أكثر من أخذها بقوة السلاح ممن منعها ، ومن سل السيف لقتال من جحدها و كان ذا شوكة ؟

(١) من كتاب مبادىء علم المالية للدكتور محمد فؤاد إبراهيم ج ١ ص ٢٦١ و قد استخلص هذا التعريف بعد محاولة تكييف طبيعة الضريبة و البحث عن أهدافها .

ب - كما أن من شأن الضريبة أن تدفع إلى هيئة عامة مثل السلطة المركزية و السلطات المحلية (١) . وكذلك الزكاة ، إذ الأصل فيها أن تدفع إلى الحكومة بواسطة الجهاز الذى سماه القرآن « العاملين عليها » كما وضحنا ذلك فى موضعه .

ج - ومن مقومات الضريبة انعدام المقابل الخاص ، فالممول يدفع الضريبة بصفته عضواً فى مجتمع خاص ، يستفيد ، من أوجه نشاطه المختلفة ، و الزكاة كذلك لايدفعها المسلم مقابل نفع خاص ، وإنما يدفعها بوصفه عضواً فى مجتمع مسلم يتمتع بحمايته و كفالته و أخوته ، فعليه أن يسهم فى معونة أبنائه . و تأمينهم ضد الفقر و العجز و كوارث الحياة ، وأن يقوم بواجبه فى إقامة المصالح العامة للأمة المسلمة التى بها تعلو كلمة الله و تنتشر دعوة الحق فى الأرض ، بغض النظر عما يعود عليه من المنافع الخاصة من وراء إيتاء الزكاة .

د - وإذا كان للضريبة - فى الاتجاه الحديث - أهداف اجتماعية و اقتصادية و سياسية معينة فوق هدفها المالى ، فان الزكاة لها أيضاً أهداف أبعد مدى ، وأوسع أفقاً . و أعمق جذوراً ، فى هذه النواحى المذكورة وفى غيرها ، مما له عظيم الأثر فى حياة الفرد و الجماعة (٢) .

أوجه الخلاف بين الزكاة والضريبة :

تلك هى أوجه الاتفاق .

فأما أوجه الخلاف بين الزكاة و الضريبة ، فهى كثيرة ، نذكرها أو أهمها فى الأمور التالية :

(١) إنما ذكروا هذا القيد فى معنى الضريبة ، احترازاً مما كان يحدث فى أوربا فى العصور الوسطى عندما كان الفلاحون يدفعون الضرائب إلى صاحب الأرض !

(٢) أنظر ذلك بتفصيل فى باب « أهداف الزكاة » من « فقه الزكاة »

فى الاسم و العنوان :

١ - إن الاختلاف بين الزكاة و الضريبة يظهر للوهلة الأولى فى الاسم والعنوان لكل منهما وما له من دلالة و إيحاء .

فكلمة « الزكاة » تدل فى اللغة على الطهارة والنماء و البركة ، يقال : زكت نفسه . إذا طهرت ، و زكا الزرع ، إذا نما . و زكت البقعة ، إذا بورك فيها .

و اختيار الشرع الاسلامى هذه الكلمة ليعبر بها عن الحصة التى فرض إخراجها من المال للفقراء و سائر المصارف الشرعية - له فى النفس إيحاء جميل ، يخالف ما توحى به كلمة « الضريبة » .

فان « الضريبة » لفظة مشتقة من ضرب عليه الغرامة أو الخراج أو الجزية ونحوها ، أى ألزمه بها ، وكلفه تحمل عبئها ، ومنه « وضربت عليهم الذلة والمسكنة (١) » و من هنا ينظر الناس عادة إلى الضريبة باعتبارها مغرماً و إصراً ثقيلا .

أما كلمة الزكاة ، وما تحمله من دلالات التطهير و التنمية والبركة ، فهى توحى بأن المال الذى يكنزه صاحبه ، أو يستمتع به لنفسه ، ولا يخرج منه حق الله الذى فرضه - يظل خبيثاً نجساً ، حتى تطهره الزكاة ، و تغسله من أدران الشح والبخل .

وهى توحى كذلك بأن هذا المال الذى ينقص ، فى الظاهر ، لمن ينظر ببصره ، يزكو و ينمى و يزيد ، فى حقيقة الأمر ، لمن يتأمل ببصيرته . كما قال تعالى : « يمحق الله الربا و يربى الصدقات (٢) » « وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه (٣) » و قال الرسول ﷺ : « وما نقص مال من صدقة (٤) » .

وهى توحى كذلك أن الطهارة و النماء و البركة ليست للمال وحده ، بل للانسان أيضاً : لآخذ الزكاة و لمعطى الزكاة . فآخذ الزكاة و مستحقها تتطهر بها نفسه من الحسد والبغضاء و تنمو بها معيشته ، إذ تحقق له و لأسرته تمام الكفاية .

(١) البقرة : ٦١ . (٢) البقرة : ٢٧٦ . (٣) سبأ : ٣٩ . (٤) رواه الترمذى .

و أما معطى الزكاة فيطهر بها من رجس الشح و البخل . و تزكو نفسه بالبذل و العطاء ، و يبارك له فى نفسه وأهله و ماله و فى هذا يقول القرآن الكريم : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم و تزكيهم بها (١) » .

فى الماهية و الوجهة :

٢— و من أجه الاختلاف بين الزكاة و الضريبة : أن الزكاة عبادة فرضت على المسلم ، شكراً لله تعالى ، و تقرباً إليه ، أما الضريبة فهى التزام مدنى محض خال من كل معنى للعبادة و القربة ، و لهذا كانت « النية » شرطاً لأداء الزكاة و قبولها عند الله ، إذ لا عبادة إلا بنيـــة ، « إنما الأعمال بالنيات » « و ما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين (٢) .

و لهذا أيضاً تذكر « الزكاة » فى قسم « العبادات » فى الفقه الاسلامى ، اقتداء بالقرآن و السنة اللذين قرنا الزكاة بالصلاة ، فالقرآن فى نيف و عشرين موضعاً من سوره المكية و المـــدنية ، و أما السنة ففى مواضع لا حصر لها ، كما فى حديث جبرئيل المشهور ، و حديث « بنى الاسلام على خمس » و غيرهما ، فكلاهما ركن من أركان الاسلام الخمسة ، و عبادة من عباداته الأربع .

و لما كانت الزكاة عبادة و شعيرة وركناً دينياً من أركان الاسلام ، لم تفرض إلا على المسلمين ، فلم تقبل الشريعة السمحة أن توجب على غير المسلمين فريضة مالية فيها طابع العبادة و الشعيرة الدينية ، و هذا بخلاف الضريبة ، فهى تجب على المسلم و غير المسلم ، تبعاً لمقدرته على الدفع .

فى تحديد الأنصبة و المقادير :

٣— و الزكاة حق مقدر بتقدير الشارع ، فهو الذى حدد الأنصبة لكل مال

(١) التوبة - ١٠٣ . (٢) البينة - ٥ .

وعفا عما دونها ، وحدد المقادير الواجبة من الخمس إلى العشر ، إلى نصف العشر ، إلى ربع العشر ، فليس لأحد أن يغير فيما نص عليه الشرع أو يبدل ، و لا أن يزيد أوينقص ، و لهذا خطأنا المتهورين الذين نادوا بزيادة المقادير الواجبة فى الزكاة نظراً للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التى تمخض عنها العصر الحديث (١) ، بخلاف الضريبة ، فهى تخضع — فى وعائها ، و فى أنصبتها ، و فى سعرها ، و مقاديرها — لاجتهاد السلطة و تقدير أولى الأمر ، بل بقاؤها و عـــدمه مرهون بتقدير السلطة لمدى الحاجة إليها .

فى الثبات و الدوام :

٤— يترتب على هذا : أن الزكاة فريضة ثابتة دائمـــة ، ما دام فى الأرض اسلام و مسلمون ، لا يبطلها جور جائر ، و لا عـــدل عادل ، شأنها شأن الصلاة فهـذه عماد الدين ، و تلك قنطرة الاسلام ، أما الضريبـــة فليس لها صفة الثبات و الدوام ، لا فى نوعها و لا فى أنصبتها و لا فى مقاديرها ، و لكل حكومة أن تحور فيها و تعدل حسبما ترى ، أو يرى أهل الحل و العقد من ورائها ، بل بقاؤها نفسه — كما ذكرنا — غير موبد ، فهى تجب حسب الحاجة و تزول بزوالها .

فى المصرف :

٥— و للزكاة مصارف خاصة ، عينها الله فى كتابه ، وبينها رسوله ﷺ بقوله و فعله ، و هى مصارف محدودة واضحة ، يستطيع الفرد المسلم أن يعرفها و أن يوزع عليها — أو على معظمها — زكاته بنفسه إذا لزم الأمر ، و هى مصارف ذات طابع إنسانى و إسلامى ، أما الضريبة فتصرف لتغطية النفقات العامة للدولة ، كما تحددها السلطات المختصة .

(١) أنظر ص ٢٤٤ — ٢٤٦ من « فقه الزكاة » .

ميزانية الزكاة إذن مستقلة عن الميزانية العامة للدولة ، واجبة الصرف إلى الأبواب المنصوص عليها ، و التى جعل القرآن الصرف لها و فيها « فريضة من الله (١) » .

فى العلاقة بالسلطة :

٦— و من هذا يعلم : أن أداء الضريبة علاقة بين المكلف أو الممول و بين السلطة الحاكمة ، هى التى تسنها ، و هى التى تطالب بها ، و هى التى تحدد النسبة الواجبة ، و هى التى تملك أن تنقصها ، أو تتنازل عن جزء منها لظرف معين ، و لسبب خاص ، أو على الدوام ، بل تملك إلغاء ضريبة ما ، أو الضرائب كلها إن شاءت ، فاذا أهملت السلطة أو تأخرت فى المطالبة بالضريبة فلا لوم على المكلف ، و لا يطالب منه شئ ، أما الزكاة فهى — قبل كل اعتبار — علاقة بين المكلف وبين ربه ، هو الذى آتاه المال ، و هو الذى كلفه أن يوتى منه الزكاة ، امتثالا لأمره و ابتغاء مرضاته ، و عرفه مقاديرها ، و بين له مصارفها . فاذا لم توجد الحكومة المسلمة التى تجمع الزكاة من أربابها . و تصرفها على مستحقيها ، فالمسلم يفرض عليه دينه أن تقوم هو بتفرقتها على أهلها و لا تسقط عنه بحال ، مثلها فى ذلك مثل الصلاة ، لو كان المسلم فى مكان لا يجد فيه مسجداً و لا إماماً يأتم به ، وجب عليه أن يصلى حيث تيسر له ، فى بيته أو غيره ، فالأرض كلها مسجد للمسلم و لا يترك الصلاة أبداً ، و الزكاة أخت الصلاة .

و لذلك يجب على المسلم أن يدفع الزكاة و هو طيب النفس بها ، راجياً أن يتقبلها الله منه و لا يردها عليه ، و يستحب له أن يسأل ربه قبولها بمثل هذا الدعاء « اللهم اجعلها مغنماً ، و لا تجعلها مغرماً » .

(١) كما فى الآية ٦٠ من التوبة .

و من هنا يحرص المسلم على إيتاء الزكاة ، و لا يتهرب من دفعها ، كما يتهرب جمهور الناس من دفع الضرائب ، فان لم يتهربوا دفعوها مكرهين أو كارهين ، بل نجد من المسلمين من يدفع من ماله أكثر مما يوجبه الزكاة ، رغبة فيما عند الله ، وطلبا لمثوبته و رضوانه ، كما حدث ذلك فى عهد النبى ﷺ وفيما بعده من العهود .

فى الأهداف و المقاصد :

٧— و للزكاة أهداف روحية و خلقية تحلق فى أفق عال ، تقصر الضريبة عن الارتقاء إليه ، و قد أشرنا إلى هذه الأهداف السامية فى حديثنا عن كلمة « الزكاة » و ما لها من دلالة و ما تنطوى عليه من إيحاء ، كما فصلنا الكلام عليها فى باب « أهداف الزكاة و آثارها (١) » و حسبنا من هذه الأهداف ما صرح به كتاب الله فى شأن أصحاب المال المكلفين بالزكاة حيث قال تعالى « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم و تزكيهم بها ، و صل عليهم ، إن صلاتك سكن لهم » و معنى « صل عليهم » أى ادع لهم ، و كان ﷺ يدعو لدافع الزكاة بالبركة فى نفسه و فى ماله ، و هو أمر مندوب لكل عامل على الزكاة أن يدعو لمعطى الزكاة اقتداء بالنبى ﷺ بل قال بعض الفقهاء : هو واجب ، لأن الآية أمرت به وظاهر الأمر الوجوب .

أما الضريبة فهى بمعزل عن التطلع إلى مثل هذه الأهداف ، و قد ظل رجال المالية قروناً يرفضون أن يكون للضريبة هدف غير تحصيل المال للخزانة ، و يسمى هذا « مذهب الحياد الضريبى » فلما تطورت الأفكار ، وتغيرت الأوضاع الاجتماعية و السياسية والاقتصادية ، انهزم مذهب الحياديين . و ظهر الذين ينادون باستخدام الضرائب أداة لتحقيق أهداف اقتصادية و اجتماعية معينة ، كالتشجيع على الانفاق أو على الادخار أو التقليل من الانفاق فى الكماليات ، أو تقريب الفوارق و غير ذلك ، و هذا إلى جوار هدفها المالى ، و هو الهدف الأول .

(١) أنظر ص ٨٥٠ من « فقه الزكاة » .

و لكن لم يستطع مشرعو الضرائب و لا علماء المالية العامة و مفكروها أن يخرجوا من دائرة الأهداف المادية ، إلى دائرة أرحب و أبعد مدى ، و هى دائرة الأهداف الروحية و الخلقية التى عنيت بها فريضة الزكاة .

فى الأساس النظرى لفرض كل منهما :

٨– ومن أبرز أوجه الاختلاف بين الزكاة والضريبة ، هو اختلاف الأساس الذى بنى فرض كل منهما ، فالأساس القانونى أو النظرى لفرض الضريبة قد اختلف فى تحديده على نظريات متباينة ، أما الزكاة ، فان أساسها واضح ، لأن موجبها هو الله عز وجل ، و سنجليه فى نظريات أربع ، لا تعارض بينها ، وإنما يشد بعضها أزر بعض ، و قد آثرت أن أفرد لذلك فصلا مستقلا حتى أوفيه حقه إن شاء الله .

الزكاة عبادة و ضريبة معاً :

و من هنا ، نستطيع أن نقول: إن الزكاة ضريبة وعبادة معاً ، هى ضريبة ، لأنها حق مالى معلوم تشرف عليه الدولة ، و تأخذها كرهاً إن لم تود طوعاً ، و تنفق حصيلتها فى تحقيق أهداف تعود على المجتمع بالخير .

و هى قبل ذلك عبادة و شعيرة ، يتقرب بأدائها المسلم إلى الله ، و يشعر حين يوديها أنه يحقق ركناً من أركان الاسلام ، و شعبة من شعب الايمان ، و أنه يعين بها من يعطيه على طاعة الله تعالى ، و من هنا كان إيتاؤها طاعة و صلاحاً ، ومنعها فسقاً صراحاً ، و جحودها كفراً بواحاً ، فهى حق الله الذى لا يسقط بتأخر الجابى ، و لا باهمال الحاكم ، ولا بمرور السنين ، و ليست كالضريبة : تجب بطلب الحكومة لها ، و تسقط بعدمه :

و الذى يهمنا أن نذكره هنا : أن علماءنا رحمهم الله قد تنبهوا على أن الزكاة

تشتمل على هـذين المعنيين : معنى الضريبة ، و معنى العبادة ، و إن لم يعبروا عن الضريبة بهذا اللفظ نفسه ، لأنه اصطلاح متأخر ، و قد يعبرون عن هذا المفهوم بأنها « حق » واجب للفقراء و المساكين فى أموال الأغنياء (١) أو يعبرون عنه بأنها « صلة للرحم » أى الانسانية أو الاسلامية ، بجانب ما فيها من شائبة العبادة .

ومن أوضح ما يدل على هذا المعنى الذى ذكرناه ، ما نقله صاحب « الروض النضير » عن بعض المحققين من العلماء فى بيان حقيقة الزكاة وحكمتها قال : « إنما فرض الله الزكاة فى أموال الأغنياء ، مواساة لاخوانهم الفقراء و قضاء لحق الأخوة و عملا بما يوجب تأكيد الألفة ، و ما أمر الله به من المعونة و المعاضدة على ما فيها من ابتلاء أرباب الأموال ، التى هى شقائق النفوس ، كما ابتلاهم فى الأبدان بالعبادات البدنية ، فهى صلة للرحم ، و فيها شائبة عبادة ، فلأجل شائبة العبادة وجبت فيها النية ، و لم يصح فيها مشاركة معصية ، و نحو ذلك ، و لكونها صلة ، صحت فيها الاستنابة ، و صح الاجبار عليها ، و ناب الامام عن المالك فى النية عند أخذها كرهاً ، و أخذت من مال الميت و إن لم يوص ، و لأجل كون الصلة غالباً عليها وجب فيها رعاية الأنفع للفقراء ، و وجبت فى مال الصغير ونحوه ، و لما كان المقصود بها المواساة لم يوجبها الله تعالى إلا فى مال خطير و هو النصاب و لم يجعلها إلا فى الأموال النامية ، و هى العين « النقود » و أموال التجارة و المواشى و ما أخرجت الأرض ، و حدد الشرع نصاب كل جنس بما يحتمل المواساة ، و رتب مقدار الواجب على حسب التعب والمؤنة ، فجعل فيما سقت السماء و نحوها العشر ، وفيما سقى بالسواقى (الدواب و نحوها) نصفه (٢) » انتهى .

(١) أنظر بداية المجهد لابن رشيد ج ١ ص ٢٣٧ مطبعة الاستقامة .
(٢) الروض النضير ج ٢ ص٣٨٩ .

في رياض الشعر والأدب

دعوة للهدى

« ... و تواصوا بالحق ... و تواصوا بالصبر ... » :

الأستاذ الشاعر عمر بهاء الدين الأميري

برايا ، و لله فى خلقـــه شؤون يقدر أحوالها
ودولاب دهر .. ورب يداول بين البرية آجالهـــا
نواميس تجرى على العالمـــين أدار لها الحق منوالها
فبالحق تمنـــح إعزازهـا و بالحق تكتب إذلالهـــا
هـــدى بذل الله خيراته فمن يتبع نهجـــه نالها
و من عق ، شق عصا عقله فولد للروح أوجالهـــا
فلا .. لايلومن سوى نفســـه إذا مسها الضر أو غالها

« آكادير » جئتك أسعى و قد تركت الرباط و أكدالها
و جشمت قلبي لا أبتغى محاسن أوتيت أشكالها
و لـكنها دعوة للهدى تولى الأخ البر (١) إرسالها
و رابطـــة أجمعت أمرها فجئت أؤكـــد إجلالهـا

(١) الأمين العام لرابطة علماء المغرب الأستاذ عبد الله كنون .

أحي شيوخ التقى الأكرمين ... و أدعو إلى العزم أشبالها
و أذكر بالرحمة الراحلين ... أخص جواداً (١) وعلالها (٢)
و أدعو لها بسناد الجهاد ... و أن ينجح الله أعمالها
و أن يحفظ الله كنونها (٣) ... و أن يشفى الله رحالها (٤)

أيا صحب أنى وجهت قلبى ... و عقلى و نفسى و تجوالها
أفند آفاق هذى الحضارة ... عدلا و أدرس أطوالها
أمحص أحوال إنسانها ... و من مدحوها و عذالها
تنمى العلوم . . . ترود النجوم ... أجل ، و أجل الذى طالها
و لكن أعود إلى بغيها ... و تقليدها الأمر ختالها
و أبصر فتك جراثيمها ... و مكر يهودى احتالها
ليستلب الناس أقواتهم ... و حتى الفقيرة . . . أسمالها
و كيف تسوق الدنى للفنا ... و كيف تكرم قتالها
فأحكم فى دعد أنها ... شقاء إذا رمت أجمالها
و يمهلها الله حتى تثوب ... فاهمالنا زاد أمهالها
و أن الدنى من عصى الضنى ... بنا قدر الله إبلالها
أمانة إسلامنا فانفروا ... أيا صحب نرفع أحمالها

(١) الأستاذ الجواد الصقلى عميد كلية الشريعة بفاس رحمه الله .
(٢) الأستاذ علال الفاسى رحمه الله .
(٣) الأمين العام لرابطة علماء المغرب الأستاذ عبد الله كنون .
(٤) الأستاذ الرحال الفاروقى عميد كلية اللغة العربية بمراكش و قد تخلف عن المؤتمر لمرضه ماشاء الله .

أمؤتمر الخير شمر و قد ... لأمة « أحمد » أجيالها
و خض غمرات عناد الكبار ... و سق للمهمات عمالها
فأمتنا فى بكاء و شكوى ... و قد رفض الكون أعوالها
و قلد سيطرة العالمين ... عداة تقطع أوصالها
فذى « قدسنا » فى أسار اليهود ... و لبنانا زاد إشكالها
و أين الغيارى من المسلمين ... يسوقون للحرب أرتالها
« فلسطين » عز « الفداء » النقى ... يكر فيهزم صوالها
و يهتف « الله » يبغى الشهادة ... قد شام فى الزحف أطلالها
و لا يتنكب قصد الرسول ... و نهج الفتوح و أرسالها
فلا « لليسار » ولا « لليمين » ... سوياً مع الله قد صالها
لقد جحد البعض درب الهدى ... و لن ينصر الله ميالها
مؤامرة نحن فى صلبها ... بجهل نعمق أهوالها

أمؤتمر الخير من ذا يفك ... لأمة « أحمد » أغلالها
تبدلت الحال من سؤدد ... إلى وهن زاد إذلالها
فقد غيرت بالدنى دينها ... و قد ضرب الله أمثالها
هو الدين أين الأولى جنده ؟ ... هو الدين يملك أبدالها
و يملك تسديد إنسانها ... و يملك فى المجد إجلالها
هم العلماء الدعاة الهداة ... يمدون بالرأى أقيالها
و يكتب رب البرايا بهم ... لها ، بعد ما كان ، إقبالها
فيا معقل الدين و العلم و المزايا أيا « سوس » يا آلها

جزيتم عن المكرمات الثناء و دمتم تضمون أحفالها

أمؤتمر الخير لا التوصيات ستجدى ولو خال من خالها
و لا دعوات التقى الصحات ، و لسنا لنذكر أفضالها
و لا كن « رب » البرايا قضى وقال : اعلموا ... هوقد قالها
إذا نحن لم نتقدح للحياة فهيهات نملك اهلالها
فكم أسلمت للفعول ذمام علاها ، و لم تعط قوالها
عقال بعير ، فراح عقيما يغنى على الضعف موالها

أيا صحب إنى لأسأل نفسى و نفسى تعرف أحوالها
إذا فى غد حم يوم الحساب « و « زلزلت الأرض زلزالها »
و نادى إلى الحشر والنشر داع « و أخرجت الأرض أثقالها »
وكان السؤال ، ولات المحيص وواجهت النفس أفعالها
و قدم من ورثوا الأنبياء (١) و لم تبخس النفس مثقالها
و يسألها الله عما حبا : حبا علمها و حبا مالها
فماذا يكون الجواب الصواب ؟ و كيف نوازن مكيالها

عداة أعدت صواريخها وصالت وجالت وماهالها ...
فدنيا العروبة و المسلمين تواجه بالرقص خيالها
بشدو القيان و حشد الحسان تهز الصدور و أكفالها

(١) كان أحد شعارى المؤتمر قول النبى صلى الله عليه وسلم : « العلماء ورثة الأنبياء » .

يهودية ... و صليبية و « مركس » يلبس سربالها
ألا وثبة يا حماة الحمى نرد إلى العقل جهالها
فان رفضوا العدل واستكبروا نكر عليها لنغتالها
و نظهر دعوة قرآننا حقائق نمحو بها آلها

أرابطة عقدت جمعها الكريم يمحص أشغالها
ألا إننا الجند ، إن جد جد يترجم بالفعل آمالها
إلى علماء البلاد ملاذ العباد إذا حققوا فالها
و عاهلها رأس أقطابها يحث و يدعم أبدالها

تواص بحق و صبر ، و ما أبرىء نفسى و إهمالها
ألا شهد الله بلغتها أهز القلوب و أقفالها
و ما هى فحواى فى جمعكم إذا رضى القلب أغفالها
و أقسم بالله ، فى لمحة إذا ما ملكنا لها مالها
سنرقى السنام نشيع السلام و ننفى عن الأرض أوحالها
إذا صدق العزم دالت لنا العوالم فالله أوحى لها

خسرو و مكانته فى اللغة العربية

الأستاذ أبو محفوظ الكريم معصومى

ينتمى أبو الحسن يمين الدين الشهير على ألسنة الجمهور ، بالأمير خسرو الدهلوى ، إلى أسرة تركية الأصل ، تعرف أحياناً بالاضافة إلى بعض حدودها (لاجين) بجيم عجمية ، كانت هذه الأسرة كتلة من الآلاف المؤلفة التى عرفت كل واحدة منها باسم (هزاره) أو الألف ، من هنا وقع على هذه الأسرة إطلاق (هزاره لاجين) إنها غادرت مستقرها الأول بما وراء النهر ، إلى مدينة (كش) ثم إلى (بلخ) و أخيراً دخلت مهجرها النهائى بالهند ، يقال إن بعض أفرادها اتصل أولا ببلاط السلطان شمس الدين ايلتمش (١٢١٠ - ١٢٣٥م) فاستقر بمدينة دهلى العتيقة ، منخرطاً فى سلك الموظفين بالبلاط الملكى ، و كان من هؤلاء الموظفين سيف الدين محمود ، والد صاحبنا ، و اختلفت المصادر فى تقييد مدة قدومه الهند ، و لكن الصواب المحقق ما تقدم آنفاً .

إن صلته بالبلاط الملكى هيأت لها - طبعاً - نوع علاقة بأمراء الدولة وخاصة بعماد الملك أحد كبار الأمراء ، الذى انتخب هذا الفتى سيف الدين — إذ شاهد فيه ملامح الكفاءة و الشرف — أن يكون ختنه على كريمته ، و قد أنجبت له بنت عماد الملك ثلاثة أولاد ، وشاء القدر أن يكون أوسطهم - أبو الحسن يمين الدين خسرو - واسطة القلادة ، و بمناسبة مرور نحو سبع مائة عام على ميلاده انعقدت حفلات مهرجانية فى الهند و خارجها ، تنويهاً بما أتيح له من مكانة سامية فى الأوساط الثقافية الأدبية .

يقول المؤرخ الأصيل ضياء الدين البرنى : إن الحكومة أقطعت للأمير سيف الدين محمود أرضاً تدر عليه اثنى عشر ألف تنكا فى العام ، و كانت هذه القطيعة تسمى (بتيالى) ثم انقلبت تعرف باسم (مؤمن فور) و هى واقعة فى مديرية (إيطه) فى أترا پرديش .

فى هذه القرية (مومن فور) أو (بتيالى) ولد يمين الدين خسرو ، فى سنة إحدى و خمسين و ستمائة ، وفق ثنتين و خمسين وألف للميلاد ، و بينما هو فى السنة الثامنة إذ توفى أبوه سيف الدين محمود صريعاً فى بعض معامع القتال .

نشأ خسرو بعد ، فى كنف جده لأمه ، الأمير عماد الملك فى مدينة دهلى ، حيث ترعرع و برع فشب و شاب ، و لم يقدر له أن يفارق دهلى إلا أن يعود إليها حيناً بعد حين ، حتى إنه قضى بها آخر عهده بالحياة الفانية و توفى إلى رحمة الله فى اليوم الثامن عشر من شهر شوال سنة خمس وعشرين و سبع مائة هجرية وفق ست و عشرين و ثلاث مائة و ألف ميلادية ، بعد أن عاش ما يقارب أربعا و سبعين سنة .

كان عماد الملك - أبو أمه - من كبار الدولة فى عصر السلطان إيلتمش . واستمر يتولى وظيفة عرض المماليك إلى زمن السلطان غياث الدين ألغ خان الشهير ببلبن (١٢٦٦ - ١٢٨٦م) فحصلت له أبهة عظيمة و مكانة رفيعة فى الغاية ، وآلت إليه زعامة أربعة آلاف من الجند الملكى ، و كانت مجالسه الرسمية يشهدها نحو مائتين من غلمان الجنس التركى محتفين به فى سماطين ، و إلى جانب هذه الجلالة و مظاهر الشهامة عاش العماد مواظباً على أعمال البر و الخير و كثرة الصدقات ، فرتب للجماهير أوقافاً طائلة تنفع المحاويج و تسد حاجياتهم ، و ظلوا تغمرهم هذه التبرعات العمادية ، فيما نص عليه البرنى ، إلى عصر السلطان فيروز شاه تغلق .

البيئة التى نشأ فيها خسرو :

فى تلكم البيئة الخسروانية نشأ الشاعر الكبير خسرو ، و كانت مجالس جده ملتقى النخبة من أعلام الشعر و الأدب و رجال الفن يترددون إليها فى الفينة بعد الفينة كما يحضرها ثقات العلماء و الفقهاء زرافات و وحدانا ، و الظاهر أن هذه المشاهد الغاصة برجال الفن و نبلاء العلم و الثقافة تلعب بدور هام جداً فى تربية النفوس الغضة فى عنفوانها ، وتنمية الأذواق السليمة منذ نعومة الأظفار ، ولاغرو أن خسرو أحاطت بمشاعره المرهفة هذه النوادى المنعقدة فى بلاط جده ، فتركت طابعها الأنيق الرائع على ثقافته الواسعة العريقة . و ربما لا نجاوز الصواب إذا قلنا بما كان لها من مدى التأثير فى تثقيف شخصيته بجملة الآداب البارعة ، و الفنون الجذابة ، و من أثر عميق فى تزويده بطرائف الظرف و الظرفاء ، حتى الموسيقى و أدواتها المرافقة وإتقانها للغاية كفنان بديع فى مداركه ، وحيد الطراز فى ميادينه .

لقد نشأ خسرو من اللحظة الأولى ، شديد الميل إلى قرض الشعر باللغة الفارسية ، كما حدثنا فى مقدمة ديوانه المبكر - تحفة الصغر - أنه بدأ ينظم الشعر الفارسى ولم يستكمل إذ ذاك الثانى عشر من سنه ، ويذكرنا ذلك بالشاعر العربى المعروف أبى الطيب المتنبى أنه استهل بالشعر وهو ابن عشر فقط ، وإذا تتبعنا تراجم الشعراء المطبوعين ، وجدنا جما غفيراً منهم بدأوا القول بالشعر حوالى هذه المدة المبكرة من العمر .

بيد أن خسرو لم يقتصر على نبوغه فى الشعر و الموسيقى فحسب و لكنه بالاضافة إلى ذينك الفنين أوتى حظوة غير قليلة فى المعارف الدينية و خاصة فى التصوف ، و كذلك درس علوم الهندسة و الهيئة والتنجيم دراسة إتقان إلى النهاية ، و لقد ذكر بعض مترجمى إن له مؤلفات فى الحساب كما ذكروا له رسائل شيقة فى

فى الموسيقى و الأصوات ، و جملة مؤلفاته على قول نور الدين جامى تقارب اثنين و تسعين تأليفاً ما بين الشعر و النثر .

جوانب عبقريته :

مما لا يشك فيه أى واحد أن شخصية خسرو الفذة تتألف بمزايا عديدة وجوانب شتى ، قلما اتفق لها أن تجتمع إلا فى أفراد موصوفين بالعبقرية ، و لاغرو أن شخصيته تمتاز بما كان لها من براعة خارقة فى كل منها ، فهو شاعر بكل معنى الكلمة ، و هو آية برأسه فى فن الغناء ومخترع للالحان الشيقة العديدة و متصرف فيها للغاية ، و هو لغوى مغرم بمعرفة شتى اللغات المتباينه فى أجناسها و أصولها و هو موظف فى البلاط الملكى و قد تأتى له أن يخدم نحو سبعة من الملوك الأجلاء الذين اعتلوا عرش المملكة بدهلى القديمة و فى الوقت نفسه هو صوفى غارق فى طريقة المشايخ المنتمين إلى السلسلة الجشتية ، و إنما يعجبنى أن أومى بصفة خاصة إلى روابطه المتضاعفه بالملوك و الأمراء طول حياته إلى جانب صلته الوثيقة بشيخه الأكبر نظام الدين الشهير بسلطان الأولياء ، سواء بسواء ، بينما استمر الجو بين هذا الشيخ وبين هؤلاء الملوك المعاصرين له ، محلولكا مكفهراً - أليس ذلك أدل دليل على رجاحة العقلية التى اتصف بها خسرو بحيث ما زال يتمتع بثقة الجانبين فى شخصه على تعارض ما بينهما علانية .

اتساع معرفته باللغات :

لو أننا اقتصرنا من بين هذه الجوانب المختلفة على جانب واحد فقط أعنى اتساع معرفته باللغات و عمق غوره فيها ، بنوع خاص لوجدناه بحراً مغدقاً ، وإنه يبدو بهذا الخصوص نسيج وحده و قلما يوجد من يدانيه من هذه الناحية فى عصره حتى الأزمنة المتتالية إلا البعض النادر جداً ، و لعله لم يأت مثله بعد الأستاذ الفذ

أبى الريحان أحمد بن محمد البيرونى فى سعة المعرفة و نهاية العمق والاجادة فى علوم الهند و لغاتها ، و فى الولوع بصنوف آدابها و معطياتها ، والشبه بينه وبين البيرونى قوى جداً حتى من ناحية الأصل التركى ، فكان خسرو كما رضع لبان اللغتين التركية و الفارسية ، إذ كانت الأولى لغة أسرته و جدوده ، و الثانية لغة البلاط و لغة الثقافة فى آسيا الوسطى من بلاد ما وراء النهرين إلى العراق فى جانب وإلى أصقاع الهند الشمالية فى آخر ، كذلك أتقن اللغة العربية و بلغ فيها ذروة سنامها لكونها لغة القرآن ولغة الثقافة الاسلامية على وجه البسيطة ثم إنه لم يقصر فى إتقان السنسكرتية العتيقة حيث إنها لغة ديانات الهنود ، و لا فى معرفة بعض اللهجات المحلية البراكرتية و على الخصوص اللهجة الهندوية ، يقول الأوحدى مؤلف عرفات العاشقين : إن ثروة شعره و أنا شيده بالهندية بلغت فى الكثرة الكاثرة ذخائره الضخمة الدسمة فى الشعر الفارسى ، و لكننا مع الأسف لم تنحدر إلينا أناشيده الهندية مدونة ومجموعة فى صورة كتاب ، كما لم نقف للآن على شئ من مؤلفاته فى الهيئة والتنجيم والحساب ، و لو كان شئ منها بمتناول أيدينا لكانت المقارنة - فيما يبدو - بينه و بين البيرونى أبى الريحان ، مادة شيقة للباحثين .

و الحجة القاطعة على تمام عنايته بالهند و لغاتها و آدابها و علومها و جملة تراثها الأثيل العتيق أنه إلى جانب شدوه بهذه المفاخر علنا ، يفتخر على الخصوص بمعرفته بالهندوية و بطلاقه لسانه فيها فى غير ما موضع من شعره الفارسى ، فيقول مثلا :

چو من طوطى هندم أز راست پرسى زمن هندوى پرس تا نغز گويم

و بما أنى أحكى فى الواقع الببغاء الناطق الهندى ، فلتجاوبنى بالهندوية حتى أرد عليك بكل رائع بديع ، و أيضاً يقول :

ترك هندوستانيم من هندوى گويم جواب شكر مصرى ندارم كز عرب گويم سخن

(أنا تركى ، هندى المنبت ومن جراء ذلك أرد عليك بالهندوية ، وليس عندى السكر المصرى فأتكلم بلغة العرب) و له فى هذا المعنى أبيات أخرى كثيرة .

عنايته باللغة العربية :

ثم إنه مع هذه النزعة الصريحة لا يرضى بتفضيل شئ من هذه اللغات العجمية على اللغة العربية ، فقد اعتقد بالجزم أنها تفوق اللغات و الألسنة كلها ، وإنما تلوها اللغة السنسكريته فى التقدم ، فدونكم ما يقول بهذا الصدد :

عرب در گفت دارد كار ديگر كه ناميزد درو گفتار ديگر

زبان هند هم تازى مثال أست كه آميزش در آنجاكم مجال أست

يعنى أن العرب يختلف شأنهم فى اللغة عن سائر الأمم ، فلا يرتق صفو لغتهم لوثة غيرها من لغات الأعجمين ، و إنما تحكى العربية من هذه الناحية ، لغة أهل الهند بحيث لا يشوبها أى كدرة إلا قليلا جداً .

و إذا كان هذا رأى خسرو فى اللغة العربية ، فلا بد أن نلفت النظر إلى استقائه من منهلها الصافى النمير ثم إلى مكانته كأديب متعرب ينظم و يكتب بهذه اللغة الكريمة و لا بأس أن ألقى بعض الأضواء على ازدهار اللغة العربية بالهند قبل خسرو ثم على مستواها فى عصره .

نظرة فى إزدهار اللغة العربية بالهند قبل خسرو :

ينبغى لنا أولا و قبل كل شئ ، أن نشير على وجه الايجاز إلى تاريخ اللغة العربية فى الهند قبل هذا الجيل الذى نشأ فيه و انتمى إليه خسرو ، و التاريخ خير شاهد على ازدهار العربية بالسند وما إليها إلى مدينة لاهور ، القديمة ، وعلى تأثيرها فى اللغات المحلية ثم نفوذ بعضها على العربية نفسها بوجه التبادل ، وإذا كان أدنى

تأثيرها فى بلاد الفرس أن تستعير لغتهم الفارسية من العربية خطها و تتلفق كثيراً من كلماتها منذ أوائل الفتح الاسلامى ، و من شواهـــد ذلك قول يزيد بن مفرغ الحميرى :

آبست نبيذ است　　عصارات زبيب است
سميه روسبيذ است

فلا عجب إذا صارت بعض لغات القطر الهندى كاللغة السندية مثلا فى معظم أصول كلماتها عبارة عن اللغة العربية بحيث بلغت مفرداتها إلى ثمانين فى المائة ، ثم من أوضح مظاهر التأثير العربى عليها أنها ظلت تكتب للآن بالخط العربى النسخى .

و كذلك نشأ فى رجال السند و الهند أفذاذ من شعراء اللغة العربية ، لايختلف كلامهم فى شئ من روعة البلاغة و الفصاحة و الانسجام مما جادت به قريحـــة الأعاريب و فصحاء الحضر ، كابى عطاء السندى و أبى الضلع السندى و هارون بن عبد الله الملتانى ، إلى أن بدأ الانحلال بدوره يتطرق إلى العربية فصارت الأسوة فى الشعراء المحدثين كأبى تمام و المتنبى و أمثالهما ، فأنجبت لاهور أشعر شعراء اللغتين مسعود بن سعد بن سلمان اللاهورى ، و الامام الفذ الأكبر حسن بن محمد الصغانى العمرى صاحب ضخام المؤلفات القيمة و الرسائل الممتعة فى اللغة و الأدب والحديث و الرجال كالعباب الزاخر و اللباب الفاخر و تكملة الصحاح فى اللغـــة للجوهرى ، و مشارق الأنوار فى الحديث و ما إليها .

كانت اللغة العربية غب احتلال الاسلام مدينة دهلى القديمة و ضواحيها ألقت بقيادها إلى أيدى شرذمة من الأعلام الكبار و فى ضمنهم تلاميذ الصغانى رأساً أو بوساطة الذين أتيح لهم أن يخدموا اللغة الكريمـــة و الثقافة الاسلامية على منهجهم المألوف نشراً و رواية وتسميعاً وإجازة ، ويمكن لنا أن نوضح ذلك ببعض الشواهد

و الفصول التالية :

عناية المشايخ باللغة العربية :

من أقدم الشواهد على عنايتهم بظواهر الثقافة و باللغة العربية خاصة ، ما قرأنا فى حياة الشيخ فريد الدين گنج شكر ، كيف أنه قضى ريعان شبابه فى التعلم على أعلام الثقافة الرسمية فى (مولتان) و إنه لما اتفق له فى إبان تعلمه أن يتصل لأول مرة بشيخه الامام قطب الدين الكعكى ، فحثه الشيخ الكعكى على أن يستكمل العلم أولا و أوصاه بالبت ألا ينقطع عن التعلم الرسمى ، وإنما ينبغى له أن يتم دراسته أولا ، ثم بعد الفراغ من قطع مراحل العلوم الظاهرة ، يلتحق به ، و لولا كانت وصـاة شيخه الكعكى بذلك ، لما اصطبر على أن يتخلف عن شيخه القدوة ، لمـدة سنوات أخرى عـديدة ، يقضيها فى المساهرة على الكتب و السجلات و يستكمل الدراسات الظاهرة ، و نمر فيما صح له من أقاويل منقولة عنه و مراسلات مقتضبة له نماذج خلابة من نثره العربى تدل على رسوخه فى معرفة اللغة الكريمة ، ويضاف إلى ذلك أنه كان شديد الاعجاب بكتاب عوارف المعارف للشيخ السهروردى ، و مولعاً بدرسه على طلاب التصوف لديه ، و كثيراً ما كان فى لمحات فراغه يعكف على بعض النسخ لهذا الكتاب تصحيحاً و تسديداً لنصوصه ، و كل ذلك يفيدنا بالقطع بانه احتل مكانة رفيعة فى معرفة اللغة العربية و أساليبها .

(يتبع)

★ ★ ★

دراسات وأبحاث

حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج

(الحلقة الثالثة)

الأستاذ محمد واضح رشيد الندوى
رئيس تحرير جريدة « الرائد » الهندية

مزايا هذا النظام التى ساعدت على خلوده رغم التقلبات السياسية والاجتماعية والفكرية :

يقول الشيخ السيد أبوالحسن على الحسنى الندوى فى كتابه « المسلمون فى الهند » . لم يكن نظام التعليم القديم منزها عن النقائص ومواطن الضعف كلياً ، فقد كانت جميع نواحيه تحتاج إلى الاصلاح و النقد و التنقيح من الناحية الفنية ، لكنه كان يحمل بعض خصائص ومزايا بفضل ما كان يتسم به المسؤلون عنه من صفات شخصية و روح دينية ، فسرت إلى ذلك النظام تلك الخصائص الشخصية التى تعوز النظام التعليمى الجديد ، و قد انتقلت هذه الخصائص جيلا بعد جيل إلى طبقات المعلمين و المدرسين و تلاميذهم .

و يذكر سماحة الشيخ الندوى من هذه الخصائص :

الاخلاص و الايثار ، و يعدها ميزة ، و شعار ذلك المنهج ، و يقول : « حيث إن الثواب فى الآخرة للتعليم والتعلم ، و الفضيلة الدينية للمعلم والأساتذة كان مرتسماً فى مخيلتهم ، أصبح ذلك من عقيدتهم و إيمانهم فكانت أغلبيتهم الغالبة تسعى من وراء التعليم و التعلم إلى نيل مرضاة الله ، و يعتبر هذا الشغل أكبر عبادة ،

فزاد عدد كبير من هؤلاء الطالبين للعلم آيات الايثار و الزهد ، و العيش بالكفاف و التركيز الكامل على شغلهم العلمى .

و من القصص المثيرة لزهد الأساتذة و تكريمهم ، قصة يرجع عهدها إلى القرن الثالث عشر كان الشيخ عبد الرحيم (م١٢٣٤هـ) يدرس فى رامبور ، وعرض عليه والى منطقة روهيلكهند الانجليزى المستر هاكنس منصب التدريس فى بريلى ، براتب شهرى يبلغ مائتين و خمسين روبية (تقدر الآن بأكثر من ألفى روبية) و وعده برفع هذا الراتب فاعتذر قبول هذا المنصب وأصر على البقاء فى مدرسته الشخصية ، وقال ما يكون جوابى يوم القيامة على الارتزاق بالتدريس (١) .

التكريس على العمل :

قد ذكر الشيخ عبد القادر البدايونى عن أستاذه أنه كان يذهب إلى السوق بنفسه لشراء حوائجه ، و جماعة الطلبة ترافقه ، فكان يدرسهم فى الطريق (٢) و ذلك يدل على الصلة الوثيقة بين الطبلة و الأساتذة ، فكانت تقوم صلات وثيقة بين الطلبة و الأساتذة لا يوجد لها مثيل فى أى نظام آخر ، فكان الطلبة مثل أولاد للأساتذة بل أعزمنهم ، وكثير من الأساتذة كانوا يكفلونهم و يشركونهم فى طعامهم ، و ذكر عن المدرس الحكيم على الكيلانى ، و هو من كبار الأطباء فى عهد أكبر و طبيب أكبر أنه كان يدرس الطلبة دائماً و لا يأكل الطعام إلا معهم ، (٣) وكان الطلبة مرتبطين بأساتذتهم ارتباطاً وثيقاً ، تقوم بينهما علاقة السعادة و الارتباط الروحى ، و التعلق القلبى و خلد التاريخ قصة غريبة لهذا الحب و التفانى فيه ،

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، للشيخ أبى الحسن الندوى .
(٢) المسلمون فى الهند .
(٣) نفس المصدر .

أنه لما شاع خبر وفاة العلامة نظام الدين اللكهنوى فقد تلميذه السيد ظريف العظيم آبادى بصره بكاءا على أستاذه ، و لم يحتمل تلميذه الآخر و هو السيد كمال الدين العظيم آبادى هذه الصدمة فكانت سبباً لموته ، ثم علم أنه حى ، (١) فكانت هذه الصلة بين الطالب و أستاذه من كلا الطرفين ، ميزة ذلك النظام .

تشجيع الأمراء و الملوك :

و كانت الميزة الأخرى لذلك النظام التعليمى دور الأمراء و الملوك الفعال فى تدعيم هذا النظام ، و اشتراكهم الفعلى فى خدمة العلم و انتشاره و احترامهم للعلماء و خطاب العلم ، فكانوا يعتبرون خدمة العلماء المخلصين و الأساتذة المربين و توفير راحتهم شرفاً لهم ، و وسيلة لنجاتهم فى الآخرة ، و فى التاريخ قصص مثيرة لهذا الحب و الاحترام الذى كان الملوك و الأمراء يضمرونه للعلماء و طلاب العلم .

توفى الأمير فتح الله الشيرازى ، فحزن الامبراطور أكبر على وفاته حزناً عظيماً و قال : لو كان الفرنج اعتقلوه وطلبوا كل ما أملك من ثروة فدية له كانت هذه الصفقة رخيصة و راغبة .

و يقول صاحب الأغصان الأربعة الشيخ ولى الله اللكهنوى :

لما وصل مركب الشيخ عبد العلى بحر العلوم إلى باب القصر الملكى بمدراس أراد الشيخ أن ينزل ، فأشار النواب والاجاه بأن يجلس الشيخ فى مقعده ، و حمل مركبه على كاهله ، ونقله بنفسه إلى قصره و أجلسه فى محله (٢) .

إصلاح الباطن و العلاقة مع رجال القلب .

و أكبر ميزة لهذا النظام الدراسى التى كانت روح ذلك العصر ، و ذلك

(١) نزهة الخواطر ج ٦ راجع ترجمة السيد ظريف العظيم آبادى و السيد كمال الدين العظيم آبادى .
(٢) نفس المصدر .

النظام هى الجمع بين العلم و تزكية النفس ، و الاصلاح الروحى ، فكانوا فى الوقت الذى يبذلون فيه جهدهم لتحصيل العلم والكمال فى الفن وخدمة أهل الفن، كانوا يبحثون عن أصحاب القلوب السليمة الذين يزكون أنفسهم و بذلك كانوا يجمعون بين العلم و التزكية ، و هى روح المدرسة النبوية الشريفة « يتلو عليهم آياته ويزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة » ويقول الشيخ أبو الحسن على الحسنى الندى فى كتابه « المسلمون فى الهند » إن الشخصيات التى خصها الله بالفضل و المجد العلمى ، والخلود فى التاريخ التى حكمت بعلمها العالم العلمى للهند عدة قرون ، كانت مرتبطة بحال من الأحوال مع شيخ من شيوخ عهدها و رجل صالح من أتقياء عصرها .

ولم يكن يستثنى من هذه القاعدة عالم أو مدرسة فكأنهم كانوا يتعلمون فى مدرسة علمية ، و يتربون فى مدرسة أخرى روحية .

فكان بفضل هذا الجمع بين العلم و العمل ، أن نال هذا النظام الخلود والتأثير على الفكر ، ويقول الشيخ الندى و هو يبين هذه الميزة الخاصة :

« من أهم مزايا ذلك النظام التى تجدر بأن تعتبر شعاره الفريد أنه كان يجمع بين الكمال العلمى و المطالعة الواسعة ، و نشوة التحقيق و البحث ، و بين إرواء الغليل الباطنى و بث روح الصلة بالله و الاخلاص فى العمل ، والحرص على خدمة الخلق . فكانت النتيجة أن العلماء والأساتذة فى هذا النظام كانوا على صلة وثيقة بعامة الناس و كانوا يتمتعون بالنفوذ على فكرهم ، و ثقافتهم و اجتماعهم ، و أن ابتعادهم عن الحركات المادية و الاغراءات ، و أثر السلاطين و فرص الاختلاط بهم ، كان يصونهم عن الفساد الخلقى أو الضغط السياسى ، الذى لا يمكن استبعاده على أساس مجرد العلم و الذكاء (١) » .

(١) المسلمون فى الهند للشيخ الندوى .

وقفة تأمل مع هذا النظام :

مر المنهج الدراسى الذى نحن بصدده بتعديلات فى مختلف العصور فحذفت كتب و أضيفت كتب ، كما أسلفنا لكن هيكل هذا المنهج و إطاره العام لم يتغير ، فكان بشكل امتزاجاً سديداً للعلوم و الفنون ، بمراعاة صلاحيات المتعلم فى كل عصر ، و مقتضيات الوضع فى كل عهد ، و نجد فى كل طبقة أساتذة كانوا يعدلون مناهجهم لبعض تلاميذهم الذين كانوا يتفرسون فيهم ذكاء و فطنة خاصة ، فألفوا لهم كتباً و لخصوا فيها المسائل ، و كان ذلك الجهد الشخصى يؤدى إلى جلاء القرائح وإذكاء الروح ولم يكن عصر من العصور يخلو من أساتذه الفن و الأئمة ، وكان ذلك أكبر توفيق لذلك النظام ، و لكن هذا التميز بين صلاحية و صلاحية لا يمكن فى النظام الدراسى الذى حل محل ذلك النظام الشخصى القديم لتوسيع الفجوة بين المتعلم والمعلم ، و كثرة المعلمين و تغلب روح الادارة و النظام على الأساتذة و المشرفين ،

و الأمر الثانى الذى يجب الاهتمام به و كان مهتماً به فى النظام القديم هو عظمة العلم ، و قدسيته و إجلال الأستاذ و الاخلاص للعلم ، و ذلك لا يتحقق فى جو غزو المادة ، و جعل العلم وسيلة للتكسب ، فنجد فى ذلك النظام أن أئمة الفن كانوا يتحاشون قبول مناصب عليا .

ومن الصدف العجيبة لتاريخ العلم فى الاسلام أن العلوم العقلية كلما غزت الفكر وتغلبت على الذهن ، و ضعف الوازع الدينى و الخلق والحشمة من العلماء والمتعلمين و الأمراء و السلاطين ، و أصبح العلم مهنة . و بضاعة . و ضعفت الصلة بين العلماء المخلصين و الأمراء و السلاطين انكمش نفوذ الحكام على الشعب و أصيب النظام الادارى بالوهن .

و لنبحث الآن عناصر الضعف فى هذا النظام التى نشأت فيه بصفة خاصة فى

★ البعث الاسلامى

القرون الأخيرة و التى صادفت انهيار الحكم الاسلامى ، و قيام الحكم البريطانى حيثما تجمدت الصلاحيات ، و أصيب العلماء بالجمود و التقليد ، فى كل قطاع من قطاعات الحياة ، و غلبت العلوم العقلية القديمة ، فكانت النتيجة أن وجد نظامان مختلفان للتعليم .

الدرس النظامى ، منافعه و مضاره :

كانت أوائل القرن الثالث عشر للهجرة فترة انتقال من الحكم الاسلامى إلى الحكم الانجليزى الأجنبى ، و قد انحسرت قوة المسلمين من قلاع و مدن عديدة ، وكان نفوذ الانجليز و تدخلهم فى سياسة البلاد يقوى كل يوم و تخضع لهم مناطق جديدة فى الوقت الذى كان الاضطراب الاقتصادى و الانحلال الخلقى و الاضطراب الفكرى و التشويش العقائدى يهدد الكيان الاسلامى فى البلاد ، و بينما كانت طائفة من الربانيين المخلصين تحاول للبقاء و تبذل أقصى جهدها لاستعادة مجد الحكم الاسلامى وإعادة المسلمين إلى طريق السلف ، وكانت طائفة أخرى من العلماء مشغولة بالمواضيع الكلامية . نتيجة لهذا المنهج الذى وهب العلوم العقلية و العلوم الالهيـــة النصيب الأوفر بعد تخفيف العلوم النقلية كالحديث والتفسير و كتب التربية الروحانية فسادت روح التغلب و الاستدلال المنطقى و أثرت على خلق العلماء و أخلاقهم و بلغ من اهتمام العلماء بهـــذه العلوم الدخيلة التى كانت تنال تشجيع الأمراء و الحكام فى عصر التدهور السياسى نتيجة لنفوذ الايرانيين ، أنهم كانوا ينظرون إلى العلوم النقلية بنظرة ازدراء فظل الناس يتهافتون على شرح هذه العلوم و تفصيلها و تأليف كتب جديدة فيها ، و أدخلو مؤلفات المتأخرين بجانب كتب المتقدمين ، و بذلك تضخم عـــدد الكتب الدراسية فى العلوم العقلية ، و بلغ عدد كتب المنطق بشروحها ١٥ كتاباً و كتابين فى التفسير ، وكتابين فقط فى البلاغة ، ثم إنه كان فى كتب المنطق تكرار

وخلط وتعقيد لتلقيح علماء المنطق من المتأخرين كتب المنطق بمسائل فلسفية ، و كان هـــذا المنهاج يخلو كلياً من علوم التاريخ و الجغرافيا و علم إعجاز القرآن و العلوم الأخرى التى تنقح الفكر و تقوى الخيال ، و تجعل المتعلم فرداً نافعاً لنفسه ولمجتمعه و يحدث فيه الانفعال والتجاوب لمقتضيات العصر .

أما جزء الأدب فى هـذا المنهاج فكان بالياً لاعتماده كلياً على نفحة اليمن و المعلقات و مقامات الحريرى و ديوان المتنبى و الحماســة ، لأن الأدب فى نظر واضعى ذلك المنهج كان بمجموعة الألفاظ المأثورة و لا تعبيراً عن الحياة و تصويراً لها ، فكان الاهتمام فى أدب هذا المنهج حل اللغات و شرح مواضع الاستشهاد فى النحو و الصرف ، بصرف النظر عن مواضع الجمال و التطبيق العلمى ، و النقد ، فلم يحدث ذوقاً أدبياً و لا قدرة كتابة و خطابة بالأسلوب المعاصر ، مما أدى إلى جمود فكرى و انغلاق .

و الجدير بالملاحظة أن كتب الأدب المـــذكورة لم تكن تدرس كلها فى سائر المدارس بل كانت بعض المدارس تكتفى بنفحة اليمن ، و الحريرى و بعضها تضيف ديوان المتنبى و بعضها تأخذ المعلقات أو الحماسة ، أما كتب المنطق و كتب النحو و الصرف و الفقه و أصوله فكانت متفقاً عليها فى سائر المدارس .

ثم إن كتب الحديث الشريف من الصحاح كانت متروكة كلياً فى المدارس التابعة للنهج النظامى التقليدى فى مدرسة فرنكى محل بلكهنؤ بصفة خاصة ، أما الذين كانوا يرغبون فى تحصيل هذا العلم فكانوا يتوجهون إلى مدارس حيث كان يدرس هذا العلم ، و إلى علماء أفذاذ فى هذا العلم من الذين كانوا ينتمون إلى أسرة الشيخ ولى الله الدهلوى .

« يتبع »

آثار ابن عبد البر القرطبي

٣٦٧هـ — ٤٦٣هـ

الدكتور محمد ظهور الحق

القسم العربي بجامعة عليكراه الاسلامية (الهند)

(الحلقة الأخيرة)

ابن عبد البر و فنون الأدب :

كان فى الأندلس فى عهد العلوم و الفنون مدرستان أدبيتان ، لهما غرضان شريفان : إحداهما تعنى بأدب الأندلس و تدوينه و نشره كما فعل الفتح بن خاقان المتوفى سنة ٥٢٨هـ فى كتابه « مطمح الأنفس » و ابن بسام ، المتوفى سنة ٥٤٢هـ فى « الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة » و المقرى فى « نفح الطيب » . و الأخرى تعنى بنقل أدب الشرق لأهل الأندلس ، كما فعل أبو على القالى ، نزيل الأندلس المتوفى سنة ٣٥٦هـ . فى كتابه « الأمالى » و كان قائد هذه المدرسة و كان كتابه النواة الأولى التى بذرها أبو على فى بلاد الأندلس من علوم الشرق فنمت وأثمرت ونضجت و آتت أكلها كل حين باذن ربها ، و كانت أماليه المدرسة التى تخرج عليها المشاهير من الأدباء فى الأندلس و لقيت منهم فى العناية ما هى جديرة بها ، و هذان المذهبان يكمل بعضهما بعضاً ، كما تفعل الأمم الحية إلى اليوم ، تدون أدبها و نتاجها و تنقل إليها أدب غيرها ونتاجه . و «العقد الفريد» لابن عبد ربه الأندلسى يتعلق بالمدرسة الثانية .

و هناك مدرسة ثالثة ، قلما نذكر فى الكتب الأدبية و التاريخية ، هى مدرسة تحيط و تجمع فى وقت واحد ما فى هذين المذهبين من العلوم و المعارف ولاتفرق بين أدب المشرق و المغرب . غرضها الشريف ، هو بيان ما أنتجه الاسلاميون

من العلوم أو أنتج تحت ظلالهم فى عهدهم السياسى من غير أن يرجع إلى أن علاقته بالمشرق أو صلته بالمغرب ، مثل هؤلاء المصنفين يشجعون على « خذ ما صفا دع ما كدر » ففى فهارسهم يلمع اسم أبى عمر يوسف بن عبد البر هو جامع بين العلوم الدينية و العلمية ، كما هو جامع للعلوم المشرقية المغربية ، لم ير مثله فى الأندلس فى سعة الرواية و حفظ الحديث و معرفة الرجال و الأخبار و الافتنان فى العلوم مع الفصاحة و البلاغة . و أصرف النظر عن سائر مؤلفاته و أشير إلى تأليفه فى فنون الأدب و المحاضرات « بهجة المجالس و أنس الجالس » فانه كما يرد بضاعة أهل المشرق إليهم يهدى بالاخلاص أفلاذ الأندلسيين و أهل المغرب إلى المشرق للافادة و الاستفادة .

مصنفات ابن عبد البر فى فنون الأدب :

١— بهجة المجالس وأنس الجالس (١) فى أربعة أجزاء .

٢— بهجة المجالس وأنس الجالس (٢) .

٣— كتاب العقل و العقلاء (٣) .

٤— نزهة المستمعين و روضة (٤) .

٤— ديوان أبى العتاهية (٥) .

---

(١) وفيات الأعيان (٦ : ٦٤) تذكرة الحفاظ (٣ : ٣٠٦) كشف الظنون: (٢٥٨) هدية العارفين (٢ : ٥٥٠) بغية الملتمس : (٤٧٦) مرآة الخيال (٣ : ٨٩) بروكلمان (١ : ٤٥٤) ذيله (١ : ٦٢٩ . (٢) كشف الظنون : (٢٥٩).

(٣) كشف الظنون : (١٤٢٠) بغية الملتمس (٤٧٦) مرآة الجنان (٣ : ٨٩)

(٤) دائرة المعارف (٣ : ٣٣٤) بروكلمان ذيله (١ : ٦٢٩).

(٥) بروكلمان ذيله (١ : ٦٢٩) ومطبوع فى دمشق بتحقيق شكرى فيصل ١٣٨٣هـ

آراء العلماء فى ابن عبد البر :

حديث المراجع العلمية و الدينية عن علوم ابن عبد البر ، حديث متعـــدد الجوانب و كثير الأطراف . و بحثها فى تلك العلوم وخصائصها بحث كبير ، منطو على كثير من الاطناب و التفصيل فقد أتيح لابن عبـد البر من الحظ و الكفاية و الشهرة ، ما لم يتح لأكثر العلماء من معاصريه . و هذا الذى حمل المؤرخين و الأدباء على التحدث عنه و الاعتراف بعلومه و براعته فيها و طول باعـــه فى فنون الأدب و المنقولات . كما يلى :

قال العلامة اليافعى : (١) .

كان لأبن عبد البر بسطة كبيرة فى علم النسب مع ما تقـدم من الفقه والأخبار و العربية ليس لأهل المغرب أحفظ منه مع الثقة و الدين و النزاهـة و التبحر فى الفقه والعربية و الأخبار .

ابن الأثير (٢) : كان إماماً ، جليل القدر له التصانيف الكثيرة المشهورة: منها التمهيد و الاستيعاب و غيرها

الضبى (٣) : فقيه ، حافظ . مكثر ، عالم بالقراءات وبالخلاف فى الفقه و بعلوم الحديث والرجال ، قديم السماع ، كبير الشيوخ .

القاضى أبو على بن سكرة (٤) :

سمعت شيخنا القاضى أبا الوليـــد الباجى يقول : لم يكن بالأندلس مثل ابن عبد البر فى الحديث .

الباجى أيضاً (٥) : أبو عمر (ابن عـــبد البر) أحفظ أهل المغرب

(١) مرآة الجنان (٣ : ٨٩) . (٢) اللباب (٢ : ٢٥٣) . (٣) بغية الملتمس: ٤٧٢ (٤ و ٥) وفيات الأعيان (٦ : ٦٤) .

أبو على الحسين بن أحمد محمد الغسانى الأندلسى الجيانى (١) :

إن ابن عبدالبر . . . برع براعة ، فاق فيها من تقدمه من رجال الأندس .

ابن خلكان (٢) : الخطيب أبو بكر أحمـد بن على بن ثابت البغدادى ، الحافظ ، كان حافظ المشرق ، و ابن عبد البر حافظ المغرب

الذهبى (٣) : « ساد ابن عبد البر أهل الزمان فى الحفظ و الاتقان :

أبو الوليد الباجى (٤) : « لم يكن بالأندلس مثل أبى عمر فى الحديث » .

دائرة المعارف (٥) « و عد أحفظ أهل المغرب » .

قال أبو محمـــد بن حزم الأندلسى (٦) ، باحثاً عن كتاب « التمهيد » لابن عبد البر : « لا أعلم فى الكلام على فقه الحديث مثله ، فكيف بأحسن منه »

ابن بشكوال (٧) : « هو إمام عصره و واحد دهره ، دأب فى طلب العلم و افتن فيه ، و برع براعة فاق بها من تقدمه من رجال الأندلس »

ابن سعيد ، نقلا عن الحجازى (٨) : إمام الأندلس فى علم الشريعة ، ورواية الحديث لا استثنى من أحد ، وحافظها الذى حاز السبق واستولى على غاية الأمد ، و انظر إلى آثاره تغنك عن أخباره .

(١ و ٢) وفيات الأعيان (٦ : ٦٤) .

(٣ و ٤) تذكرة الحفاظ (٣ : ٣٠٦) .

(٥) دائرة المعارف (٣ : ٣٣٣) (٦) وفيات الأعيان (٦ : ٦٤) دائرة المعارف (٣ : ٣٣٣)

(٧ و ٨) الدرر (المقدمة) .

ربانيون

حياة الشيخ خليل أحمد السهارنبورى

فضيلة الأستاذ محمد الثانى الندوى

تعريب : عبد الله الحسنى الندوى

ينتمى الشيخ خليل أحمد إلى أسرة كريمة عريقة فى الاسلام ، و ينتهى نسبه من أبيه إلى أبى أيوب الأنصارى و من أمه إلى أبى بكر الصديق .

و قد كان فى آبائه علماء كبار و محدثون أجلاء ، منهم شيخ الاسلام أبو إسماعيل عبد الله الأنصارى الذى احتل مكانة مرموقة فى العلم والروحانية ، و أوقد بفضله و علمه و ورعه و تقواه مشاعل التوحيد و السنة ، و قد أقر الامام الذهبى فى كتابه « تذكرة الحفاظ » بفضله وجرأته و قوله الحق ، و ذكره بألفاظ سامية .

و استوطن أولاد شيخ الاسلام فى بلاد شتى و رفعوا لواء التوحيد والجهاد فى سبيل الله ، و انتقل فرع منها إلى الهند و استقر أكثرهم فى بلدان « دهلى » و « سهارنفور » و فى مديرية « باره بنكى » من ولاية أوده .

وإن علماء فرنكى محل ينتمون إلى أولئك الذين انتقلوا إلى قرية « سهالى » من مديرية « باره بنكى » ، و كان جدهم الأكبر الشيخ الكبير الملا نظام الدين ، قد رزقه الله عز و جل أولاداً أكفاء فى الدرس والفتيا ، و العلم و العمل ، ولم يزالوا يحتلين المكانة السامية فى الدرس و الفتيا حتى الأمس القريب .

و من الذين قاموا بتزكية النفوس و تحليتها بالفضائل وتهذيب الأخلاق وخدمة

الانسانية و إرشادها إلى الهدى ، و تعليم الكتاب و نشر أحاديث الرسول ﷺ - ممن استوطنوا سهارنفور - الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأنصارى و قد وصفه صاحب « نزهة الخواطر » « بالشيخ المحدث » و الشيخ الكبير و المحدث الجليل رشيد أحمد الكنكوهى المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ الذى قد ارتوى من مناهله العذبة كثير من الناس و اهتدى على يديه آلاف من الناس إلى التوحيد و السنة و صارت علاقتهم بالله علاقة متينة .

و كان للشيخ خليل أحمد السهارنفورى قرابة و علاقة علمية و تربوية ، ونحن فى هذه العجالة نذكر نبذاً من حياته .

ولادته و نشأته : ولد الشيخ خليل أحمد فى صفر ١٢٦٩ هـ دسمبر ١٨٥٢ م فى وطن أمه « نانوته » .

و كان اسم والده « مجيد على » و اسم أمه « مبارك النساء » وكانت هى بنت الشيخ الكبير أستاذ العلماء « مملوك العلى » .

إنه لم يبلغ الحلم حتى توفى جده من أمه و كان والده على وظيفته بعيداً عن الوطن فرباه خاله العالم الورع الشيخ محمد يعقوب النانوتوى وتعلم تحت إشرافه .

نشأ وترعرع فى بيئة دينية خالصة وفى تصون تام و تربية فائقة كانت المدارس منتشرة فى ذلك الزمان ، و لم تزل آثار حركة الامام السيد أحمد الشهيد موجودة و ما زال أتباعه و أخلافه يقومون بجولات دعوية و كان الجو الدينى سائداً على الهند ، و كانت الزوايا معمورة و حافلة بالذكر و التلاوة ، و الحلقات العلمية تنير مشاعل العلم و الدين ، و قد كانت من هذه الحلقات العلمية حلقة مشايخ كاندهله ، و حلقة أتباع الامام أحمد بن عبد الأحد مجدد الألف الثانى ، و حلقة أسرة شيخ الاسلام ولى الله الدهلوى ، و حلقة أتباع الشيخ الربانى الجليل معين

الدين الجشتى ، وكان على رأسهم الشيخ الحاج إمداد الله المهاجر المكى ، وكانت هذه الحلقات و السلاسل ممتازة و فائقة على أخواتها ، فانها لجهدها المتتابع و سعيها الدائب فى خدمة العلم و الدين جعلت أواخر القرن الثالث عشر و أوائل القرن الرابع عشر مثل القرون السابقة الحافلة بالعلماء و أنجبت عباقرة فى كل علم من العلوم و عمالقة فى كل فن من الفنون .

تعليمه : لقد كان عام ١٨٥٧ م عام ثورة و انقلاب ، وفوضى واضطراب حينما تسلط الانجليز على الهند ، و وضعوا فيهم السيف و قتلوا ألوفا من العلماء و المشايخ و رجال التدريس و شنقوهم ، و إنه سجل اسمه فى المدرسة أثناء هذه الاضطرابات فلما بدأ تعليمه أصيب أهل هذه البلدة بالبلاء و الشدة و أصيبوا بالمصائب و المحن ، و قد بلغ تأثره بما حدث فى هذه الأيام القلقة الحرجة رغم صغره و حداثة سنه أن استولى القلق على قلبه وأصبح كأنه على حسك السعدان فذهب مع عمه « أنصار على » إلى « كواليار » حيث بدأ يتعلم اللغة العربية ، ولكن لم يلبث زماناً طويلا حتى رجع إلى وطنه ، و جعل يقرأ على الشيخ « سخاوت على » .

فلما بلغ عام ١٢٨٣ هـ من عمره ثلاث عشرة سنة أو أربع عشرة سنة أنشئت هناك مدرسة دينية عربية فى قرية « ديوبند » بمديرية « سهارنفور » اشتهرت « بدار العلوم ديوبند » و تخرج منها علماء كثيرون لا يحصى عددهم و كان الشيخ محمد يعقوب رئيس المدرسين لهذه المدرسة ، و كان هو خال الشيخ خليل أحمد السهارنفورى فدعا ابن اخته خليل أحمد فتعلم فى هذه المدرسة ستة أشهر .

و أسس الشيخ « سعادت على » - الذى كان من أخص أصحاب الامام السيد « أحمد الشهيد » - مدرسة دينية أخرى فى « سهارنفور » و كان الشيخ مظهر النانوتوى - الذى كان من أخواله - رئيس المدرسين لهذه المدرسة و لم يطب للشيخ

خليل أحمد المقام فى ديوبند فرجع إلى سهارنفور ، و التحق بهذه المدرسة - التى سميت بعده « بمظاهر علوم » و برع فى العلوم و تضلع منها .

و كان من أساتذته الشيخ « سعادت على » فقيه « سهارنفور » و الشيخ « سخاوت على » الأنبيتوى و الشيخ « سعادت حسين البهارى » ، و كان الشيخ مظهر النانوتوى من أخص أساتذته لأنه قرأ عليه جميع كتب الحديث ، و حضر دورة الحديث سنة ٨٥ - ١٨٨٦ م ، و برع فى الأدب العربى كذلك .

و من الأساتذة الذين تلقى منهم الشيخ خليل أحمد علم الحديث و أخذ منهم شهادات الكفاءة ، أسماؤهم كما يلى .

١ - الشيخ محمد مظهر النانوتوى عن الشيخ محمد إسحاق عن الشيخ عبد العزيز عن شيخ الاسلام ولى الله الدهلوى .

٢ - الشيخ عبد الغنى المجددى عن الشيخ محمد إسحاق عن الشيخ عبد العزيز عن شيخ الاسلام ولى الله الدهلوى .

٣ - الشيخ المفتى عبد القيوم البرهانوى عن محمد إسحاق عن . . . إلخ .

٤ - الشيخ مظهر النانوتوى عن الأستاذ مملوك العلى عن الشيخ رشيد الدين خان عن الشيخ عبد العزيز

٥ - الشيخ السيد أحمد البرنجى مفتى الشوافع .

٦ - الشيخ أحمد دحلان .

ثم غادر الشيخ خليل أحمد السهارنفورى - بعد إنهاء هذه الكتب - سهارنفور إلى لاهور و درس على الشيخ فيض الحسن « الأدب العربى » - الذى كان له يد طولى فى أيام العرب وأنسابهم و فاق أقرانه فى هذا الفن و علا صيته - ثم توجه بعد إكمال الكتب الأدبية إلى منطقة جبلية تعرف « بمسورى » - وهو معروف

بطيب الهواء و جمال المناخ - بأمر خاله الشيخ محمد يعقوب النانوتوى ومكث أياماً و اشتغل بترجمة « القاموس » .

و كانت له رغبة شديدة فى حفظ القرآن و كان يتذوق القرآن و يلتذ بقراءته قال ذات مرة لشخص يحفظ القرآن أن يسمعه القرآن فى التراويح ، فقال ذلك الحافظ ، لم لا تحفظ القرآن ، فأثر القول فى قلبه وشمر عن ساق الجد وحفظ القرآن الكريم فى سنة واحدة و فى السنة الثانية قرأه فى التراويح .

تزوج الشيخ خليل أحمد وهو ابن احدى وعشرين سنة فرزقه الله عز وجل ولداً بعد عام فما لبث إلا أن مات فى ريعان شبابه و ترك أباه - و قد كان ابن أربعين سنة - محزوناً ، إنا لله و إنا إليه راجعون .

تحصيله العلوم الباطنية و ميزته فيها :

عند ما كان الشيخ مشغولا بتحصيل العلوم وكان عاكفاً على الدراسة العادية المتداولة فى المدارس ، كان الشيخ الربانى المحدث الكبير رشيد أحمد الكنكوهى - الذى كان معروفاً بنبوغه فى العلوم و تربيته و إصلاحه لمريديه و مسترشديه - مرجعاً للناس فى تزكية القلوب و النفوس ، و إصلاح الأرواح و الأعمال ، كانت معرفته الربانية كالشمس فى رابعة النهار ، فكان الناس يستنيرون به و يتهافتون عليه من الجوانب كالفراش على النار ، ويحصلون على المعرفة الربانية الصحيحة ، ويتذوقون حلاوة الايمان .

وكان درسه للحديث النبوى الشريف كذلك ، فقد علا صيته و ارتفع مناره و اشتهر فى العالم ذكره فى ذلك الزمان .

فلما تخرج الشيخ خليل أحمد و أكمل دراسته ذهب إلى بلدة « منكلور » من مديرية « سهارنفور » و اشتغل فيها بالتدريس و استفاد من مجالس الشيخ الربانى القاضى إسماعيل المنكلورى إلا أن قلبه كان يبحث عن شئ ينجذب إليه انجذاباً كلياً ،

و كان يسمع اسم الشيخ رشيد أحمد الكنكوهى منذ صباه و قد كان حضر فى خدمته من قبل فكان قلبه ينجذب إليه كثيراً فحضر فى خدمته بعد استشارة خاله الشيخ محمد يعقوب النانوتوى و الشيخ محمد قاسم النانوتوى ، و كان إذ ذاك ابن تسع عشرة سنة و بايع على يديه و اشتد به حب شيخه و وقر فيه حب الله عز وجل و رسخ فى قلبه رسوخاً تاماً و انهمك فى ترويضه و مجاهدته فى ذكر الله عز وجل ، و كان يسهر الليالى و يروض نفسه حتى صار ترويض النفس و سهر الليالى من عادته ، وانهمك فى المجاهدات انهماكاً كبيراً حتى تعجب منه الناس .

وفاق أقرانه من أتباع شيخه و مريديه فى الاتباع لأمره فأصبح طوع أمره و رهن إشارته ، فكان لا يخالف الشيخ فى أمر من الأمور و إن شق على النفس و صعب إتيانه .

فعاش تسع سنوات عنده هكذا ، ثم حج و زار سنة ١٢٩٤ هـ و لقى شيخ شيخه الحاج إمداد الله المهاجر المكى ، فأجاز له بالبيعة و الارشاد و أحسن مثواه ثم عاد بعد الحج و الزيارة إلى حضرة شيخه فصدق هذه الاجازة و الخلافة و رضى بها و جعله من أخص خلفائه بل لعل هذه الاجازه هى أولى إجازة نالها الشيخ خليل أحمد من شيخه « رشيد أحمد » .

و لم يزل بهذا الحب و الاتباع و قطع الأنانية و مخالفة الهوى ، يكسب الرقى الباطنى ، و ارتقى خلال إقامته عنده درجات عالية - من صفاء الباطن ، و سمو الروح ، و حسن الخلق - تدل عليه تلك الخطابات التى وجهها إليه الشيخ رشيد أحمد الكنكوهى حيناً بعد حين و خاطبه فيها بصفات و ألقاب رفيعة .

اشتغاله بالتدريس وإقامته فى أمكنة مختلفة : جلس أولا للتدريس فى بلده « منكلور » بمديرية « سهارنفور » و استفاد فيها من مجالس العالم الربانى القاضى إسماعيل و قام

فى مدرسة غريبة إسلامية بدور فعال فى خمس سنوات ، ثم دعا الشيخ جمال الدين معتمد الحكومة خاله الشيخ محمد يعقوب للتدريس ولكنه لم يكن يستطيع أن يغادر سهارنفور فأمر ابن أخته الشيخ خليل أحمد أن يتوجه إلى بوفال و يعمل نيابة عنه ، فذهب إلى بوفال ، و كانت بوفال فى تلك الأيام محط أنظار العلماء و المشايخ و محط رحالهم و منبع العلوم و المعارف ، لأن ملكة بوفال الأميرة شاه جهان بيگم ومعتمد الدولة الشيخ جمال الدين كانا يحبان العلم والعلماء و كانت لهما عناية زائدة بهم ، علاوة على أن بوفال كانت ولاية إسلامية ، كذلك اجتمع كثير من العلماء لأجل الشيخ النواب صديق حسن خان ، و الشيخ عبد القيوم البرهانوى و انتهز الشيخ خليل أحمد هذه الفرصة السانحة و استفاد و أفاد ، و حصل على شهادة الحديث من الشيخ عبد القيوم البرهانوى - الذى كان مفتى الولاية - و فى هذه المدة حج وزار لأول مرة و أيده الله بنصره فى هذا الحج ، وفى هذه الزيارة حصل على شهادة الحديث خلال إقامته فى المدينة المنورة من الشيخ عبد الغنى المجددى .

ثم ذهب إلى بلدة « سكندرآباد » بمديرية « بلند شهر » بعدعودته من الحج سنة ١٢٩٤ هـ بأمر الشيخ رشيد أحمد الگنگوهى و اشتغل بالتدريس فى مدرسة فى المسجد الجامع ، و لكن المبتدعين غضبوا عليه غضباً شديداً حينما رأوا خدمته للتوحيد و السنة و تفانيه فى إشاعة الكتاب و السنة فصاروا له أعداء وأثاروا عليه الفتن و افتروا عليه كثيراً و آذوه و لكنه صبر و تحمل المشاق و المصائب إلى مدة و لما بلغ السيل الزبى و طم الوادى على القرى و شق عليه أن يقيم هنا عاد باذن الشيخ رشيد أحمد الگنگوهى بعد شهر و رجع إلى وطنه .

فمكث سنة كاملة فى وطنه ثم ذهب إلى « بهاولبور » - التى كانت ولاية إسلامية مشهورة فى الهند - بأمر خاله الشيخ يعقوب النانوتوى و اشتغل بالتدريس و أقام

عشر سنوات فى « بهاولبور » ووقعت فى تلك الأيام معارك كثيرة وحدثت أحداث كبيرة فخدم فى هذه الأيام القلقة الدين خدمة جليلة ، وكان فى هذه المدرسة ضابط شيعى يسمى « بجراغ على » و كان يدعو الشيخ و يثير المواضيع الدينية و يناقش فيها وكان يلعن الصحابة و يسبهم فيرد عليه الشيخ ردوداً مقنعة بكل صبر وتحمل ولكنه عند ما تجاوز الحدود و تخطى القيود عيل صبره وبدأ يجاهد بقلمه السيال ويدحض الرفض والتشيع و يفنده و صنف كتاباً عظيماً سماه « هدايات الرشيد » فكان هذا الكتاب سماً قاتلا فى حلقوم الرفض و التشيع و دواء شافياً لأهل السنة والجماعة فتوارد إليه الناس خلال إقامته فى المدرسة ، وخدم خدمة جليلة للعلم و الدين .

و كان الشيخ يدرس بصفة عامة ، الحديث والفقه والمنطق وعلم الكلام والتفسير و يشد الطلاب إليه الرحال من أصقاع بعيدة ويستفيدون منه ، فيمضى أكثر أوقاته من الليل و النهار فى التدريس للحديث و التفسير .

توفيت زوجته أثناء إقامته فى « سهارنفور » فرجع إلى وطنه ، ثم عاد إلى المدرسة بعد أيام قلائل و تزوج مرة أخرى بعد سنتين .

حج و زار مرة أخرى أثناء هذه الاقامة و نال الاجازه من الشيخ الكبير الحاج إمداد المهاجر المكى فى هذا السفر الميمون . (يتبع)

(بقية المنشور على ص ٩٣)

أسأل الله - تعالى - لى و لكم التوفيق و أن يثبت أقدامكم هنا فى هذا المزلق حيث تزل الأقدام و تزول الجبال الراسيات ، و أن يأخذ بأيديكم و أن يربط على قلوبكم ، و أن يشعل فيكم جمرة الايمان حتى تعيشوا ما بقيتم هنا مسلمين و ترجعوا إلى بلادكم - إذا عدتم إليها مع سلامة الله - مسلمين دعاة متحمسين أكثر مما أنتم عليه الآن . السلام عليكم ورحمة الله و بركاته .

كيف ننظر إلى الحياة الغربية الأمريكية و كيف نتعامل معها

فضيلة الأستاذ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى

[هذه محاضرة ارتجلها سماحة الشيخ أبي الحسن على الحسنى الندوى فى اجتماع خاص للشباب المسلم بمدينة لاس انجلس و قد نظمه الاتحاد العالمى للطلاب فى أمريكا و كندا بمناسبة زيارته الأخيرة للولايات المتحدة ، وكانت المحاضرة مسجلة ، فنقلها من الشريط الأخ سلمان الحسينى الندوى و نظراً إلى فائدتها العامة نتحفها إلى قرائنا الكرام .

و كان من حقها أن يتصدر بها العدد و لكننا وصلتنا بتأخير ، فأثبتناها فى هذا الباب]

« التحرير »

إخوانى ! إن هذه البلاد التى نلتقى فيها الآن بلاد سعيدة و بلاد شقية ، ولعل هذا الكلام يبدو متناقضاً إذا فكرتم فيما أن يكون شئ فى وقت واحد سعيداً وشقياً ، و لكن إذا شرحت لكم الفكرة فسيتضح لكم معنى السعادة والشقاء فى وقت واحد .

إن هذه البلاد سعيدة لأن الله تعالى قد أنعم عليها بنعم كثيرة ، إن الله سبحانه وتعالى قد وسع لها فى الرزق وسع لها فى الخيرات ، وسع لها فى الذكاء ، وسع لها فى قوة الارادة ، فى صلاحية التنظيم ، تنظيم الحياة ، و قد وسع لها فى الخصب الأرضى و الخصب العقلى ، و هذا كله من الدليل على سعادتها ، و قد أصبحت اليوم هى القائدة للمدنية العصرية ، و هذه المدنية العصرية التى تسمى المدنية الغربية تستحق أن تسمى المدنية الأمريكية ، لأن المدنية الأمريكية الآن هى المسيطرة على العالم كله ، و لها نفوذ ،

رضينا أم لم نرض ، أردنا أم لم نرد ، لهـا نفوذ فى قلب العالم الاسلامى ، ومع الأسف الشديد فى الجزيرة العربية فالعالم الاسلامى يتجه الآن إلى هذه البلاد ، و الجزيرة العربية قد ألقت أفلاذ أكبادها إلى هذه البلاد ، فاذا أردتم أن تعدوا الشباب السعوديين - فقط - الذين أموا هذه البلاد تجدونهم فى مئات الألوف ، هذا فضلا عن الهنود و الباكستانيين أو عن الايرانيين أو عن أبناء بلاد أخرى .

و لكنها فى نفس الوقت ، و فى نفس اللحظة بلاد شقية و لا تنظروا إلى شزراً أيها الاخوان ! إنها بلاد شقية لأنها كان نصيبها من الديانات الديانة المسيحية ، وكان نصيبها من مجالات النشاط الانسانى المجال المادى التكنولوجى فقط ، أما شقاؤها من جهة الديانة و من جهة العقيدة فهو أن الديانة المسيحية هى أبعد ديانة عن روح هذه البلاد و عن دور هذه البلاد الذى قامت به و مثلته فى تاريخ الانسانية ، إذا سئل : ما هى أبعد الديانات عن روح هذه البلاد ، وما هى أغرب الديانات عن طبيعة هذه البلاد وعن مركزها القيادى و روحها القاق وعقلها المرتكز ، فالجواب الوحيد المعين أنها الديانة المسيحية ، لأن الديانة المسيحية هى التى تجعل الانسان يؤمن بأنه خلق آثماً مذنباً مجرماً بالفطرة البشرية ، فكان لابد له من فداء ، وأن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة و السلام - كنبى عظيم من الأنبياء ، كان فداء هذا الانسان المخطىء المجرم بالفطرة ، هذه العقيدة هى التى تنشئ فى الانسان عدم الثقة بصلاحيته ، وعدم الثقة بفطرته الصالحة ، ثم إن هذه الديانة تحبب الرهبانية و تزهد فى حياة الكفاح ، و تزهد فى حياة النضال ، و تزهد فى حياة المنافسة و المسابقة التى هى من أكبر رواد رقى الانسان و تقدمه ، فالديانه المسيحية ديانة غريبة فى هذه البلاد ، ديانة قد فرضت على هذه البلاد فرضاً ، قد فرضتها الأدوار التى مرت بها ، و مر بها التاريخ الانسانى .

وقد كانت على المسلمين مسئولية كبيرة فى هذا الشقاء ، لأن المسلمين فرطوا فى نقل رسالة الاسلام المثلى ، و فى نقل عقيدة الاسلام ، العقيدة الواضحة المقبولة لكل إنسان ، الحافزة للبشرية ، المفتقة للقرائح ، الشارحة للصدور ، المثيرة للغرائز ، إنهم فرطوا فى حمل هذه الرسالة الجايلة المثلى إلى هذا البلد ، إن الله - سبحانه وتعالى - قد منحهم فرصة الحكم فى قطعة من أوربا ، قد حكموا فيها قروناً ، و لكنهم قد فرطوا تفريطاً عظيماً ، تفريطاً مجرماً فى نقل الاسلام إلى أنحاء أوربا البعيدة ، وفى تغلغل الاسلام فى أحشاء أوربا ، إنهم ظلوا فى هذه القطعة الأوربية يبنون هياكل و مبانى عظيمة ، و يؤسسون حضارة جميلة ، و يوسعون علوماً وثقافات ، و يعنون بالآداب و الشعر ، و الفنون الجيلة ، و لكنهم فرطوا فى نقل الاسلام و نشره فى أوربا ، فكانت النتيجة أن هذه البلاد بقيت تجهل الاسلام ، و بقيت فى عزلة عن الاسلام .. هذا الأول ، والشئ الثانى أن هذه البلاد كان مجال نشاطها المجال المادى ، المجال التكنولوجى ، المجال الميكانيكى ، المجال الدنيوى ، فانحصر نشاطها فى هذا المجال .

و من سنة الله - سبحانه و تعالى - أنه يعين كل إنسان ، و كل شعب ، وكل مجموعة بشرية ، وكل مؤسسة إنسانية على ما تختاره من مجال نشاطها وذكائها ، فيقول الله تبارك و تعالى :

« كلا نمد هؤلآء و هؤلآء من عطاء ربك ، و ما كان عطاء ربك محظوراً . أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض و للآخرة أكبر درجات و أكبر تفضيلا »

فلما اختارت هذه البلاد المجال المادى لنشاطها و ذكائها و عبقريتها و إنتاجها كانت لها فتوح عظيمة ، وكان لها انتصار كبير ، سخرت الطاقات ، واكتشفت الأسرار ، و استخدمت الوسائل لترفيه الحياة و توسيعها و تسهيلها ، و لكنها حرمت الهدوء ، حرمت السكينة ، حرمت الايمان العميق ، حرمت الهدف الصالح ، حرمت الغايات المثلى ، حرمت الجمع بين الدين والدنيا ، كما يقول الله تبارك وتعالى على لسان المؤمنين :

« و منهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة و قنا عذاب النار »

فاختارت هذه البلاد المجال المادى ، و المجال الصناعى فقط ، فكان لها تقدم رائع ، كان لها ازدهار ، و لكنها لما أهملت الجانب الروحى ، وأهملت عالم القلب و النفس ، و أهملت العناية بمعرفة الهدف الصالح للحياة ، و أهملت الجانب الخلقى و الجمع بين الأخلاق الفاضلة و بين الصناعات البشرية ، فان هذه الصناعات و هذا التقدم لا يصلح إلا مع الأخلاق ، الأخلاق التى تضبط الجشع و تضبط النهامة ، و تضبط حب المال و حب الاستيلاء على البشر ، و حب الظلم و القهر للأمم و الشعوب ، الأخلاق وحدها هى التى تستطيع أن تملك الزمام و هى التى تستطيع أن توجه هذه العلوم توجيهاً صالحاً إلى غاية رشيدة ، فلما أهمل الغرب كله - بمعناه الواسع - و على رأسه و فى مقدمته أمريكا التى نلتقى فيها الآن فى هذا المساء فى هذه الأمسية المباركة الجميلة ، إنها لما أهملت الجانب الخلقى ، و الجانب العقائدى و الجانب الروحى ، كانت النتيجة أن البلاد أصبحت شقية فى الروح ، مضطربة ، حائرة ، ساد عليها القلق ، وساد عليها التذمر ، وسادت عليها السآمة ، و ليست حركة الخنافس ، و ليست الحركات التى تلاحظونها فى هذه البلاد — التى تدل على القلق ، و تدل على التذمر — إلا ردود فعل عنيفة ضد هذه الثورة المادية ، ضد هذا التضخم ، هذا التضخم النقدى والتضخم المادى ، فهذه البلاد - كما قلت لكم - بلاد شقية و بلاد سعيدة ، و لكنها الآن فى دور القلق و الاضطراب ، لا تتبين أمرها ولا تملك زمامها ، أصبحت مركباً تركبه الحياة و لم تعد راكباً يركب الحياة ، الحياة تسوقها سوقاً عنيفاً و لم تعد تقدر على أن تسوق الحياة سوقاً رفيقاً ، سوقاً متزناً ، سوقاً هادئاً .

أنتم يا شباب الاسلام ، أنتم يا أبناء الأمة الابراهيمية المحمدية الخالدة ، أنتم تستطيعون أن تلقوا عليها درساً ، و أن تقودوها ، و أن تنظروا إليها نظر ناقد لا نظر مقتطف ، لا نظر متطفل ، لا نظر تلميذ صغير حقير ، و لكن مع الأسف الشديد ألاحظ أن الشباب الذين يأتون هذه البلاد ، يأتون إليها غير مستعدين لم يعدوا نفوسهم و لم يعدهم آباؤهم و أساتذتهم و مربوهم وسادة بلادهم لأن يكونوا هناك أصحاب شخصية ، فما لنا من شخصية إسلامية ، نحن نؤم الغرب كأننا نعيش فى صحراء ، كأننا نعيش فى فراغ ، كأننا لا تاريخ لنا ، لا حضارة لنا ، لا دين لنا ، ولا ثقافة لنا ، نأتى إلى هذه البلاد كأقزام ، كأننا أقزام و هؤلاء عمالیق ، لا يا إخوانى ! أنتم العمالیق و هؤلاء هم الأقـزام ، أنتم الأساتذة و هؤلاء هم التلاميـذ ، أنتم الموجهون ، و هؤلاء هم المقتطفون ، و هكذا كانوا فى الزمن الماضى ، و لكننا فقـدنا شخصيتنا ، فقدنا الثقة بخلود الاسلام ، فقدنا الثقة بصلاحيـة الاسلام ، لا لمسايرة العصر بل لقيادة العصر ، إننا فى بلادنا الاسلامية فى الهنـد و باكستان و فى إيران و أفغانستان ، وحتى فى مصر و سوريا لم نعرف الحضارة الغربيـة ، لم نعرف قيمة الحضارة الغربية ، لم نعرف جوهر الحضارة الغربية ، إن أساتذتنا فى جامعاتنا وفى معاهدنا لم يستطيعوا ليشحنوا نفوسنا بالثقة ، و ليفتحوا عيوننا على هذه الحضارة ، على مساويها ، و على مواضع ضعفها ، و على سقطاتها و على إخفاقها و على إفلاسها ، فالمسئولية على أساتذتنا أكثر مما هى على عواتقنا ، و لكنكم ما دمتم قد جئتم إلى هذه البلاد عليكم أن تعرفوا روح هـذه الحضارة المادية ، الروح التى قد سيطرت على هذه الحضارة ، فجعلتها مركباً مادياً لا عقل له و لا روح له ، يجب أن تتعمقوا فى دراسة هذه الحضارة ، و تقارنوا بين محاسنها و مساويها ، و بين كسبها و بين إخفاقها ، و ما هى المجالات التى يجب أن ننتفع

بها و ما هى المجالات التى يجب علينا أن نتجنبها وأن نفر منها فرار السليم الصحيح من المريض المجذوم . من الرجل الذى أصيب بداء عضال ، يجب أن نعين و نحدد تلك المجالات التى يجب أن نكون فيها تلاميذ « الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها » يجب أن نتتلمذ على أساتذة هذه الحضارة وعلى أساتذة هذه الجامعات فى هذه المجالات ، و لكن ما هى المجالات التى يجب أن نتجنبها و أن نفر منهـا و نزهد فيها و نستهين بها و نحتقرها ، إنما هى مجال العقيدة ، مجال الايمان ، مجال الروح ، مجال الأخلاق ، مجال الشخصية ، مجال معرفة قيمة الانسان ، مجال الهدف الصحيح ، مجال القيم والمثل الفاضلة ، مجال الايمان بالغيب ، ومجال الشعائر الاسلامية ، يا إخوانى ! كونوا هنا متحفظين ، كونوا هنا على حذر ، كونوا هنا على مستوى عال ، لامستوى منخفض ، تقدسون الحضارة وتمجدونها و تبالغون فى إطرائها ، ليس هذا موقفكم ، موقف المسلم المعتز بالدين ، موقف المسلم المؤمن بالقرآن ، موقف المسلم الحامل لهذا التـاريخ المشرق المجيد ، موقف المسلم الذى كان إماماً و قائداً للانسانية وسيظل إماماً وقائداً للانسانية إلى أن يرث الله الأرض و من عليها .

لا مانع من أن تردوا هذه البلاد ، أنا لست من أولئك الذين يعتقدون أن المسلم لا يجوز له أن يطأ هذه الأرض ، و أن يأتى إليها متعلماً و دارساً ، لست من أولئك المغالين و من أولئك المتطرفين ، أنا بنفسى كدارس للفلسفة و الحضارة و التاريخ ، له جولات فى هذه المجالات ومساهمة ضئيلة فى المكتبة المعاصرة ، أقول لكم : لا تفقـدوا شخصيتكم ، و لا تخسروا بقيمتكم بل قولوا كما قال سيدنا إبراهيم - عليه السلام - وكان فى أمة مشركة وثنية خرافية ، و أنتم كذلك فى أمة مشركة وثنية خرافية . إنه قال :

« كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده »

هكذا يجب عليكم أن تقولوا : كفرنا بكم ، تكفرون بهذه الحضارة لا تكفرون بها برمتها ، ولكن تكفرون بها كالحضارة الانسانية المثلى ، وكالحضارة الانسانية التى هى المثل الأعلى ، نحن نقدر هذه الحضارة ، و نستفيد منها فى بلادنا فى تنظيم الحياة و فى ترفيه الحياة فى بعض الأحيان ، وفى العلوم الصناعية ، و فى العلوم التجريبية ، و فى العلوم الرياضية ، و فى العلوم التكنولوجية . و لكننا نحترس منها و لا نقلدها فى الايمان و العقيدة و فى الأخلاق .

إن هذا الخواء الروحى الذى يعانيه الغرب و الذى تعانيه هذه الحضارة ، قد أصبحت منه على شفا حفرة من النار أو على شئ منهار ، حتى أصبحت فى طريقها إلى الانتحار ، إن الحضارة الغربية ـ الآن ـ فى طريقها إلى الانتحار ، وكما يقول الدكتور محمد إقبال : إن كل أمة حرمت الهداية الربانية ، وحرمت التوجيه السماوى، إن منتهى كمالها و رقيها البرق و البخار .

إن الافرنج أو إن الغرب هو مسود قاتم بدخان المصانع و بدخان هذه الفبريكات ، إن هذا الوادى الأيمن لا يصلح للتجلى الالهى

و لكن مع الأسف الشديد كان من حظ هذه البلاد ، النصرانية ، ثم كان من حظ هذه البلاد الاعتماد و التركيز على الجانب الصناعى ، وعلى الجانب المادى ، هذا هو سر شقاء الانسانية ، و لذلك أصبح العالم ثائراً الآن ، و قد كتب عليه الاضطراب و القلق و الفساد الخلقى و الافلاس الروحى ، و التأرجح بين مادية رعناء و بين ديانة و أخلاق جامعة فاضلة .

يجب عليكم أن تعودوا إلى بلادكم لتقولوا لها و لتقولوا لشبابها ولتقولوا للمثقفين فيها قد سبرنا الحضارة الغربية ، وقد عجمنا عودها ، وقد اكتوينا بنارها ، وقد عشنا فى قلبها ، و عرفنا إفلاس هذه الحضارة . ترجعون إليهم لتكشفوا لهم سر هذه

الحضارة ، و لتقشعوا هذا السحاب الذى قد غشى أبصارهم . لتبخروا هذه الثقة الزائدة ، و هذا التقديس الذى يحملونه لهذه الحضارة ، و لتملكوا زمام بلادكم فتقودوها إلى الاسلام .

يجب عليكم أن تعيدوا الثقة فيهم إلى صلاحية الاسلام و إلى صلاحية العلوم الاسلامية ، و إلى خلود الرسالة الاسلامية ، ولتقولوا لهم قد عرفنا الغرب أكثر مما عرفتم ، و قد نشأنا و عشنا فيها سنين طوالا ، و عرفنا أنها حضارة جوفاء ، هذه الحضارة طلاء خداع و سراب خادع « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه » هذا سراب خادع لتقولوا للمتعلمين فى الجامعات هناك الذين ينظرون إلى الغرب كأنه هو المثل الكامل و كأنه هو السماء و هم على الأرض ، و كأنه قمة جبل و هم يتطلعون إليها كما يتطلع طفل صغير وقد وقف فى سفح الجبل فهو ينظر إلى قمة الجبل كأنها السماء الأعلى ، تقولون لهم لا لا ، يا شباب ، لا يا إخواننا ، نحن قد عرفنا الحضارة الغربية و عرفنا أنها حضارة خاوية جوفاء ، أنها حضارة غير متزنة قد فقدت اتزانها وقد فقدت جوهرها و قد فقدت قيمتها .

هذه كلمتى لكم ، لعلها تحرك فيكم ساكناً وتثير فيكم كامناً ، و تحملكم على تقدير نعمة الله — تبارك تعالى — لما أكرمكم الله به من نعمة الاسلام . أسأله ـ تعالى ـ التوفيق لى و لكم ، وأسأل الله ـ تعالى ـ الاستقامة لكم فى هذه البلاد و أن تكونوا مسلمين بكل معنى الكلمة ، محافظين على الصلوات محافظين على الواجبات الدينية ، على الشخصية الاسلامية ، محافظين على العادات الاسلامية الجميلة المقتبسة من القرآن و السنة ، و أن تكونوا هناك هداة أئمة موجهين مرشدين ، لا ، تلاميذ متطفلين .

(البقية على ص ٨٥)

صور وأوضاع

محمد الحسنى

١- الشهر الكريم

أثناء مطالعتى لكتاب « فى الزنزانة » للمستشار على جريشة ، وقع بصرى على قطعة أدبية رائعة حول رمضان تفيض بالايمان و الحنان فأردت أن أزفها - بمناسبة الشهر الكريم - إلى القارىء الكريم ، غذاء للقلب ، و زاداً للروح ، و تنويراً للأبصار !

« مع نسمات شذى طيب كريم ، يفوح من قريب ، وعلى أصداء لحن عذب جميل ، . يتردد عن شمائل و يمين ، و على أضواء تنبعث من هنا وهناك تنبىء عن حفل تقيمه السماوات و الأراضين مع النسمات و الألحان ، و الأضواء ، أعيش بحمد الله أياماً سعيدة . . أشم رائحة الجنة ، و قد فتحت أبوابها و أغلقت أبواب الجحيم ، و أسمع لحن الطير يشدو مستبشراً بأمل جديد و ضيف قريب ، و أشهد زينة السماوات فرحة بالضيف العزيز . . و لو علمت أمتى ما فى رمضان لتمنت أن تكون السنة كلها رمضان .

و لم يبق للناس من هذا الشهر الكريم . سوى أطعمة يعدونها لتكون الوجبة بديلا عن ثلاث وجبات ، و سهرات يفسدون بها صيامهم ، يفطرون فيها على ماحرم الله . . و شموع ذابلة يضيئونها كأنما تنعى انحباس الضوء و كتمان النور .

و النور الذى أضاء هذا الشهر الكريم و أضاء معه السماوات و الأرض جعلوه وراء ظهورهم كأنما يصرون أن يعيشوا حياتهم ظلاماً . بعيداً عن النور .

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم » .

٢- صورة و صورة

الصورة الأولى تمثل حياة العجائز فى المجتمع الأمريكى حين تتنكر لهم العائلة كلها ، حتى الأبناء صاروا لا يعرفون آباءهم الذين تجاوزوا حدود الشباب و دخلوا فى طور الشيخوخة والعجز والمرض ، ويخصص لهم مكان خاص فى البلد أو فى الحارة ، يجتمع فيها هؤلاء « المشردون » الذين أخرجوا من ديارهم و أبنائهم ، يتبادلون العزاء فيما بينهم ، ويتجاذبون أطراف الحديث و ينالون وجباتهم الغذائية و راتبهم الشهرى بانتظام ، ويتكرم أبناء بعضهم بزيارة « السيد الوالد » بعد أسبوعين أو بعد شهر أو أكثر فيقدم إليه قطعة من الحلاوى أو الكعك أو التفاح ، و يبتسم فى وجهه لباقة و تكلفاً ، و يقضى عنده بضع دقائق ثم ينصرف . و يستكثر الوالد « البائس » هذه المبرة وهذه البنوة أو الكرم والنبل . . فيباهى بذلك فى مجتمعه الصغير ، فقد فاز بلفتة كريمة من الولد بينما حرمها الآخرون .

و الصورة الثانية تمثل المجتمع الاسلامى :

« عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر ، فمالوا إلى غار فى الجبل ، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم ، فقال بعضهم لبعضهم انظروا أعمالا عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها فقال أحدهم : اللهم إنه كان لى والدان شيخان كبيران ، و لى صبية صغار ، كنت أرعى عليهم فاذا رحت عليهم حلبت بدأت بوالدى أسقيهما قبل ولدى و إنه قد نأى بى الشجر فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رؤسهما ، أكره أن أوقظهما وأكره أن أبدأ بصبية قبلهما ، و الصبية يتضاغون عند قدمى فلم يزل ذلك دأبى و دأبهم حتى طلع الفجر فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج لنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله لهم حتى يرون السماء » إلى آخر الحديث .

٣ــ محنة تستمر

من الأنباء الواردة من مصر أن حوادث اعتداء وقعت على بنات متحجبات فى الزى الاسلامى ، بحجة انتمائهن إلى جماعـــة التكفير و الهجرة . . و إن اللحية صارت موضع سخرية عند البعض ، وموضع تهمة أو شبهة عند بعض الجهات الرسمية ، و كانت الصحافة هى السابقة فى استغلال هذه الفرصة و الصيد فى الماء العكر . .

يا قوم . . كنا نظن أن عصر المهازل ، و عصر المضحكات المبكيات انتهى بانتهاء « خالق العزة و الكرامة » « ونبى هذا الزمان » وهى كلها تعبيرات فرعونية راجت و شاعت فى التسينات . . .

و كنا نظن أن المياه ستعود إلى مجاريها ، و الحق إلى أهله تحت سيادة العدالة و الحرية و القانون .

و كنا نظن أن عصر المحنة انتهى . . و صارت مصر تتنفس برئتيها وتستنشق هواء الحرية الطلق . . و أن الدعوة الاسلامية تعود إلى معقلها الكبير ، مكرمة مبجلة تنال حقها من التقدير و الاعتراف ، والحفاوة و الاستقبال .

ثم تبخرت هذه الأحلام الحلوة أمام تلك الأحداث المؤلمة الأخيرة .

« و ما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » .

٣ ــ حلان لا ثالث لهما

شبابنا ــ على وجه العموم ــ لايقدم إلا صورة شاحبة هزيلة للوطن الاسلامى فهو متميع ، سيال ، متفاعل مع سائر الموجات الاباحية و الوجودية و الهيبية حتى المهاريشية الهندوكية ، هو رخو ، ناعم نعومة الحرير والديباج ، منصرف عن القضايا الكبرى التى تهم مصيره و وجوده ، و شخصيته إلى ألعاب و مباريات و سهرات أو رحلات .

إن ذلك حق و الحق مر ، والسبب الوحيد هو طغيان المادة أو طغيان المال !

كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى .

و لهذه المشكلة حلان لا ثالث لهما . .

إما أن نحطم ينابيع الثروة . و نقضى على أسباب التنعم و الترف بتاتاً فيعود إلينا الوعى الضائع و نستأنف حياتنا من جديد ، و قد قال فيصل مرة ــ و هو يواجه الضغط الأوربى والأمريكى ــ إننا تعودنا حياة الصحراء منذ قرون بعيدة و بامكاننا أن نعود إليها حالا إذا دعت إليها الحاجة .

و إما أن نشغل شبابنا القوى العريق فى البطولة فى نشاطات تربوية و صناعية و فنيـــة ودعوية و فى كدح متواصل ، و جهاد مستمر ، ومسئوليات تعصر قواه و مواهبه ــ و هى غنية عظيمة ــ فلا يجد فرصة للفساد و الافساد ، فساد البطالة و الفراغ و الجدة . و هو فساد ــ كما تعلمون ــ عظيم .

و المعلوم أن الطريق الأول و الحل الأول ، بعيد جداً عن الحياة العمليـــة و الواقع ، فلم يبق فى الميدان إلا هذا الحل الأخير و الحل الوحيد .

إنه ينبغى أن نجند شبابنا ــ مع فترات ترفيهية قصيرة ــ فى نظام شبه عسكرى فمنذ أن ينهض مبكراً فى الصباح و يأوى إلى فراشه متأخراً فى الليل يقضى ساعاته كلها فى تزويد شعبه و وطنه بمهارة فنية جديدة ، بعلم جديد ، باختراع نافع ، أو بحمل الدعوة ونشر الرسـالة بين الجماهير ، أو بتأليف القلوب ، و توحيـــد الصفوف ، و القضاء على داء الفرقة و الانشقاق ، نجنده فى قطاعات مختلفة و إن كانت هذه القطاعات تحتاج إلى الغلظة و الشظف و الشدة و البأس . و الصبر على المكروه ، و أن لا نذود عنه أذى الأيام و نبعـــده عن مواضع الشدة و الخشونة و التعب

(البقية على ص ١٠٠)

أخبار إجتماعية و ثقافية

الشيخ محمد سليم فى ذمة الله

حملت إلينا برقية بعثها من مكة المكرمة الشيخ محمد شميم بن الشيخ محمد سليم نبأ وفاة والده الشيخ محمد سليم عقب نوبة قلبية أصابته فى الشهر المنصرم فانا لله وإنا إليه راجعون .

و قد كان هذا النبأ المحزن بمثابة صدمة عنيفة أصيب بها الأوساط العلمية و الدينية فى هذا البلد بوجه عام و ندوة العلماء ورجالها بصفة خاصة ، فقد كان الفقيد ذا صلة قوية و عميقة بندوة العلماء و أصحابها ، و خاصة بسماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى رئيس ندوة العلماء العام الذى كان يحبه و يعجب به ، و يسر بلقائه سروراً عظيماً كلما زار سماحته مكة المكرمة .

كان الشيخ محمد سليم رئيس المدرسة الصولتية التى أسسها جده الشيخ رحمة الله الكيرانوى فى مكة المكرمة فى عام ١٢٩٠ ﻫ فلما توفى انتقلت رئاسة المدرسة بعده إلى ابن أخيه الشيخ محمد سعيد فلما وافاه الأجل أيضاً تولى رئاسة المدرسة بطبيعة الحال ابنه الشيخ محمد سليم رحمه الله ، و ظل رئيس هذه المدرسة حتى آخر لحظة من عمره .

و قد تفانى الشيخ محمد سليم فى ترقية هذه المدرسة و توسيع نطاقها العلمى و الدينى لا فى الحجاز فقط بل فى القارة الهندية بما فيها باكستان كذلك ، وصمد فى وجه جميع التقلبات السياسية متمسكا بمبدء الخدمة و عازماً على صيانة المدرسة من تأثير كل تقلب سياسى ظهر فى زمنه ، فقد شهد تمزق الخلافة العثمانية بعد الحرب

العالمية الأولى ، و ثورة شريف حسين على الحكومة التركية بايعاز من الانجليز الذين كانوا يطمعون فى إقامة دولتهم فى الحجاز ، و انهزام الانجليز إزاء الملك عبد العزيز بن سعود و تأسيس الحكومة السعودية .

ظل الشيخ محمد سليم طوال حياته عاكفاً على خدمة المدرسة من جميع النواحى وحريصاً على نشر العلم والثقافة الدينية فى الطلاب الذين كانوا يفدون إليه وينزلون على شرعته ، و كان يعتبر من سعادة الحظ أن يسهر على خدمة الحجيج الذين كانوا ياتون لأداء فريضة الحج من الهند و باكستان بصفة خاصة ، و ينزلون فى ضيافته أو يقيمون فى بيوت المدرسة ، و يشغل فى موسم الحج جميع وسائله و إمكانياته فى تسهيل أداء المناسك و توفير الراحة لهؤلاء الحجاج و يقوم معه بخدمتهم أنجاله الكرام و أبناء أسرته أيضاً .

كان الشيخ محمد سليم رحمه الله على جانب كبير من دماثة الخلق و طلاقة الوجه و رحابة الصدر يجمع بين الثقافات و الآداب المختلفة ، و يتسم بفصاحة البيان و عذوبة اللسان و حلاوة الكلام ، مع تميزه بالورع و العفاف و النزاهة و التمسك بالآداب الاسلامية و مكارم الأخلاق ، كان ينوى الحضور فى المهرجان التعليمى العالمى الذى أقامته ندوة العلماء فى شوال عام ١٣٩٥ ﻫ و لكنه لم يتمكن من ذلك لأسباب قاسرة فاعتذر إلى سماحة الشيخ الندوى و أرسل وفداً ثلاثياً برئاسة نجله الكريم الشيخ محمد شميم إلى المهرجان .

رحمه الله رحمة واسعة و أنزل عليه شآبيب مغفرته

★ دار العلوم ديوبند تعلن عن موعد احتفالها المئوى :

أعلن فضيلة الشيخ محمد طيب القاسمى مدير الجامعة الاسلامية دار العلوم ديوبند عن موعد احتفالها المئوى الذى سيعقد فى شهر نوفمبر ١٩٧٨ م و قال إن الجهاز

★ البعث الاسلامى

الادارى لمكتب الاحتفال مكب على تنشيط جميع الوسائل و الامكانيات للقيـــام بالاعدادات اللازمة .

و قد وجه نداء إلى جميع أبنائها المتخرجين الذين يبلغ عـددهم آلاف المتخرجين خلال قرن و ١٣ سنة من تأسيسها وإلى المسلمين عامة حول تهيئة الوسائل و تقديم المساعدا ت لانجاح هذا الاحتفال الاسلامى الـكبير ، تهانينا الخالصة إلى المسئولين عن هذه الجامعة الاسلامية و تمنياتنا الطيبة لنجاح احتفالها الاسلامى .

سماحة الشيخ الندوى يعود فى سلامة الله

فى ٢٥/ من شعبان ١٣٩٧هـ الموافق ٩/ أغسطس ١٩٧٧م عاد فى سلامة الله تعالى سماحة الشيخ أبو الحسن على الحسنى الندوى و معه فضيلة الشيخ محمد الرابع الندوى من زيارتهما للولايات المتحدة و كندا التى استغرقت شهرين و نصف ، و قد زار سماحته خلال هذه المدة معظم البلدان الأمريكيـة ، و ألقى محاضرات فى الاجتماعات و النـــدوات التى نظمها له الاتحاد العالمى للطلاب كما تحدث إلى الشباب المسلم و الجاليات الاسلامية و مراكز التعلم و التربية فى الولايات المتحدة و قد كان لجولته فى البلدان الأمريكيـة أثر ملموس فى مجال الدعوة الاسلاميـــة و العمل الاسلامى هناك .

(بقية المنشور على ص ٩٧)

و الارهاق كالأم الحنون . فثمار هـــذا الجهد و الجهاد و الشدة و المرارة شهية فى النهاية .

هذا النظام الجديد لا يقضى على جرثومة الفساد فحسب . بل إنه ينشئ - باذن الله - فى الجيل المعاصر طاقة مولدة جديدة تفتح البراعم و تفتق القرائح ، وتشعل المواهب ، و بالاختصار تأتى بالعجائب .

سنة الله فى الارض و لن تجد لسنة الله تبديلا .

★ ★